وطني- 2

اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. عَلَى الْجَوَابِ. تَرْنِيمَةٌ

1اَللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ، عَوْناً فِي الضِّيقَاتِ وُجِدَ شَدِيداً. 2لِذلِكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ، وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ. 3تَعِجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعْزَعُ الْجِبَالُ بِطُمُوِّهَا. سِلاَهْ.

4نَهْرٌ سَوَاقِيهِ تُفَرِّحُ مَدِينَةَ اللهِ، مَقْدِسَ مَسَاكِنِ الْعَلِيِّ. 5اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ. يُعِينُهَا اللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ. 6عَجَّتِ الأُمَمُ. تَزَعْزَعَتِ الْمَمَالِكُ. أَعْطَى صَوْتَهُ ذَابَتِ الأَرْضُ. 7رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلَهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ.

8هَلُمُّوا انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ، كَيْفَ جَعَلَ خِرَباً فِي الأَرْضِ. 9مُسَكِّنُ الْحُرُوبِ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. يَكْسِرُ الْقَوْسَ وَيَقْطَعُ الرُّمْحَ. الْمَرْكَبَاتِ يُحْرِقُهَا بِالنَّارِ. 10كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ، أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ، أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ. 11رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلَهُ يَعْقُوبَ. سِلاَهْ.

الله ملجأ وقوة

المزامير الثلاثة 46–48 ثلاثية تسبيح للرب على نجاة أورشليم من أعدائها، فالمزمور 46 يعلن حضور الله وسط مدينته ليعطي الاطمئنان والسلام، ويعلن مزمور 47 مُلك الله على كل الأرض، ويتضح ذلك من هزيمة أعدائه. ويعلن مزمور 48 سلامة أورشليم لأن الله حاضرٌ وسط شعبه.

أما مناسبة كتابة هذه المزامير الثلاثة فهي نجاة أورشليم زمن الملك حزقيا (701 ق.م) من هجوم سنحاريب ملك أشور (2مل 18، 19 وإش 36، 37) الذي كان حزقيا ملك يهوذا مستعبَداً له، ثم رفض أن يدفع له الجزية (غالباً بتحريض من ملك بابل). فهاجم سنحاريب حزقيا وهزمه، فاضطُرَّ أن يدفع 300 وزنة من الفضة و30 وزنة من الذهب كغرامة، حتى أنه قشَّر الذهب الذي كان يغشي أبواب الهيكل وأعطاه لسنحاريب. فاتجه سنحاريب جنوباً نحو مصر ليحاربها. وفجأة لسبب لا نعرفه، قرر أنه لا يجب أن يترك أورشليم في يد حزقيا الذي لا يطمئن إليه. وكان حزقيا قد أوصل المياه لأورشليم في نفقٍ تحت الأرض من نبع جيحون (2 مل 20: 20) فأرسل سنحاريب فرقة من جيشه لتحاصر أورشليم بقيادة «ربشاقى» وقائدَيْن آخَرين معه، فنادى على الملك، فخرج له ثلاثة ممثلين للملك، فسخر من الملك حزقيا، وقال باللغة العبرانية إن اعتماد حزقيا على مصر كالاتكال على عصا

مسنونة تخرق كف من يتوكأ عليها، وإن الثقة بيهوه لا نفع فيها، لأن يهوه لن يخلص من يعبدونه، كما عجزت آلهة الشعوب المحيطة بهم ولم تقدر أن تساعد شعوبها، فدمرَّ سنحاريب مدنها وحطم آلهتها، ولن يكون إله يهوذا أفضل من تلك الآلهة!

لقد أراد «ربشاقى» أن يثير شعب أورشليم ضد حزقيا، ولكنهم لم يستجيبوا له، فأرسل له رسائل سخرية منه ومن إلهه، فأخذ حزقيا الرسائل ودخل بها بيت الرب وصلى: «يا رب الجنود.. خلِّصنا من يده، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك» (إش 37: 16–20). فأرسل الله إليه النبي إشعياء ليطمئنه بأن النصر آتٍ لا ريب فيه، وأنه سيدافع عنهم، وأن سنحاريب المتكبر سينهزم. وقد كان، فقد ضرب ملاك الرب من جيش أشور 185 ألف جندي. ولا نعرف من التوراة كيف مات كل هؤلاء في ليلة واحدة، ولكن المؤرخ اليوناني هيرودوت قال إن جيشاً جراراً من الفئران زحف ليلاً وقرض كل سهام وأقواس الأشوريين، فلم يجدوا سلاحاً يحاربون به، أو يدافعون به عن أنفسهم. وعندما رأى سنحاريب ما حلّ بجيشه، جمع بقية جنوده وعاد إلى بلاده. وبينما هو ساجدٌ في هيكل صنمه «نسروخ» قتله اثنان من أولاده وهربا، وملك ابنه الثالث أسرحدون بدلاً منه.

وبمناسبة هذه النجاة كُتبت ثلاثية التسبيح هذه (مز 46–48). ويتكون مزمور 46 من ثلاثة أعداد من الترنيم تتحدث عن قوة الله، يقول العدد الأول منها إن قوة الله تمنح شعبه الاطمئنان فيقولون «لا نخشى» (آية 2). ويقول العدد الثاني إن قوة الله تفرح شعبه «نهر سواقيه تفرِّح مدينة الله» (آية 4). ويقول العدد الثالث إن قوة الله تُسكت أعداءه، وتأمرهم «كفّوا واعلموا أني أنا الله» (آية 10). وينتهي العددان الثاني والثالث بالقول: «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب» (آيتا 7، 11)

في هذا المزمور نجد:

أولاً – قوة الله تطمئن شعبه (آيات 1–3)

ثانياً – قوة الله تفرِّح شعبه (آيات 4–7)

ثالثاً – قوة الله تُسكِت أعداءه (آيات 8–11)

أولاً ـ قوة الله تطمئن شعبه

(آيات 1-3)

«الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار. تعِج وتجيش مياهها. تتزعزع الجبال بطموها» (آيات 1–3). وتوضح

هذه الآيات أن حماية الله لشعبه تعطيهم الاطمئنان والسلام، مهما تزعزعت الثوابت! لقد هاجم الجيش الأشوري الهادر المدينة الوادعة، فامتلأت قلوب أهلها بالرعب، لأن الأرض والجبال اهتزت وتزلزلت من وقع حوافر الخيل وصيحات الجنود. لقد قلب العدو الموازين، وكأنه يزحزح الأرض ويقلب الجبال إلى قلب البحار، فتصيح ويعلو صوتها، فتُرعب الشعب الآمن.

ولكن صوت الإيمان ارتفع يعلن أن الله ملجأٌ وقوة، وأنه عونٌ وُجد دائماً شديداً في الضيقات، فعمَّر السلام القلوب الخائفة! فليكن الرب نصيبك، عندما تكون أنت نصيب الرب، فيكون الرب ملجأك أنت، فتقول عن اختبار: «هذا إلهنا، انتظرناه فخلَّصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه» (إش 25: 9). في وسط المخاوف يدعو المؤمنون: «يا رب، ترأف علينا. إياك انتظرنا.. خلاصنا أيضاً في وقت الشدة» (إش 33: 2) فيجيب الرب: «الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمك الرب» (إش 54: 10) وهكذا يتحقق القول الكريم: «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة.. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً، وتُطرَد كعصافة الجبال أمام الريح، وكالجُل أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعبٌ. قبل الصبح ليسوا هم» (إش 17: 12–14). «عندما يأتي العدو كنهر، فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19). «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي، يقول الرب» (إش 54: 17).

قد يكون في كل ما حولنا تهديدٌ لنا، ولكننا يجب أن نطمئن ولا نخشى لأن في وجود الرب معنا حماية لنا. «إن كان الله معنا، فمن علينا؟» (رو 8: 31). قال المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20). مساكينٌ من يكنزون في الأرض، فإنها تتزعزع، وسيجيء اليوم الذي فيه تحترق الأرض والمصنوعات التي فيها (2بط 3: 10). وسعداء هم من يكنزون في السماء. كم نحتاج لعائلات تجتمع باسم المسيح للصلاة معاً، فتتَّحد معاً في مواجهة الظروف القاسية، مهما كانت قسوتها. وكم نحتاج لكنائس متحدة في الصلاة، فتتمكن من مواجهة الاضطهادات مهما كانت عنيفة.

الله لنا ملجأ وقوة، يعيننا في الضيق عندما يهاجمنا العدو، فهو فلك نجاتنا، ومدينة ملجإنا، يرد الظلم عنا، ويهبنا القوة الداخلية لنواجه مصاعب الحياة. ونحن نقول: «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37). وهو لنا ملجأ وقوة عندما تلقي خطايانا علينا ثقل الإحساس بالذنب، فنُهرع إليه معترفين ليغفر لنا ويطهرنا من كل خطية. وهو لنا ملجأ وقوة عندما يصيبنا الضعف، فنسمعه يقول: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (2كو 12: 9).

ثانياً ـ قوة الله تفرِّح شعبه

(آيات 4-7)

في هذه الآيات يصف المرنم الله بأنه العلي، فهو صاحب السلطان الأعلى في الكون الذي خلقه. ولا سلطان لملك أرضي إلا بإذنه، فلا شك أن «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه. حيثما شاء يُميله» (أم 21: 1). ومن الغريب أن هذا السلطان الإلهي لا يوقف الأعداء عن مهاجمة جماعة الله، ففي عالمنا مملكتان: مملكة إبليس ومملكة الله. وهناك حرب مستمرة بين جيوش الشر وجيش البر. وتعج مملكة إبليس بصيحاتها الفارغة ضد مملكة الله، ولكن النصرة النهائية هي للخير. إن الله يسمح بقيام حزب معارضة في دنيانا، ولكن المسيح هو الذي خرج غالباً ولكي يغلب، كما قال لتابعيه: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو 16: 33).

ويعطي الرب الغلبة لشعبه بالأمور الآتية:

1 ـ الله يروي شعبه: «نهر سواقيه تفرح مدينة الله، مقدس مساكن العلي» (آية 4). صحيحٌ أن مياه البحار المالحة تحيط بالمؤمن وهي تعج وتجيش، ولكن هناك نهرٌ من ماء حلو يفيض ليروي النفس العطشانة والأرض المقفرة، فتصير صحراء المؤمن بستاناً، لأن ربه يورده إلى مياه الراحة الخالية من الأمواج المكدرة، فيرتوي في سلام وبسلام (مز 23: 2). ويصف النبي إشعياء مياه شيلوه أنها «جاريةٌ بسكوت» (إش 8: 6) أي تجري بهدوء، فلا تعكر أمواجُها صفْوَ الشاربين. وشيلوه هي المدينة التي بقي فيها التابوت من أيام يشوع إلى أيام النبي صموئيل، وكانت مركز عبادة بني إسرائيل. فالرب يفيض على المؤمنين بماء نهرِ تفرِّح ينابيعه نفوسهم ومدينتهم.

أجرى الملك حزقيا الماء في نفق تحت الأرض، فشرب أهل أورشليم أثناء الحصار (2أخ 32: 30) فكان الماء العذب فرحاً لهم. وبالمعنى الروحي يروي الله شعبه بالماء الحي، الذي هو الروح القدس (يو 7: 39). قال المسيح: «مَن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماءٍ ينبع إلى حياة أبدية» (يو 4: 14). ويقول يوحنا الرائي إنه رأى سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لا يوجد فيها بحر عجاج ولا ماء ملح، ولكن رأى فيها «نهراً صافياً من ماء حياةٍ لامعاً كبلّورٍ، خارجاً من عرش الله والحمل» (رؤ 22: 1).

2 ـ الله يسكن وسط شعبه: «الله في وسطها فلن تتزعزع يعينها الله عند إقبال الصبح» (آية 5). وحضور الرب العلي وسط شعبه يملأ نفوسهم بالفرح، مهما كانت قسوة الظروف المحيطة بهم، لأنهم

يستمدون فرحهم من وجوده معهم، ومن النعمة التي يمنحها لهم، فيقولون: «أليس الرب في وسطنا؟ لا يأتي علينا شر» (مي 3: 11).

كان المسيح نائماً في سفينة يعبر بها مع تلاميذه بحيرة طبرية. وهاجت الأمواج فجأة وأخذت تضرب السفينة حتى كادت تمتلئ بالماء، فأيقظ التلاميذ المسيح صارخين: «أما يهمُّك أننا نهلك؟» فقام وانتهر الريح والبحر، فصار هدوءٌ عظيم. ثم قال المسيح للتلاميذ: «ما بالكم خائفين هكذا؟ كيف لا إيمان لكم؟» (مر 4: 35–41). وهل يمكن أن تغرق سفينةٌ فيها المسيح؟ «الله في وسطها فلن تتزعزع. يُعينها الله عند إقبال الصبح» وقت أشدّ ساعات الليل ظلاماً، فتختبر ما جرى وقت الخروج «فدفع الرب المصريين في وسط البحر» (خر 14: 27). ويتكرر معها ما جرى للجيش الأشوري، فإن بني إسرائيل «لما بكَّروا صباحاً إذا هم (الأشوريون) جثثٌ ميتة» (إش 37: 36). عندما تضيق الحياة في وجوهنا، ونفقد كل أملٍ في النجاة يعيننا الله عند إقبال الصبح. «إذا اجتزتَ في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيتَ في النار فلا تُلذع، واللهيب لا يحرقك» (إش 43: 2).

3 - الله يشجع شعبه: «عجَّت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته. ذابت الأرض» (آية 6). ما يقوله الله يكون، وما يأمر به يصير! «ويُسمِع الرب جلال صوته، ويُري نزول ذراعه بهَيَجان غضبٍ ولهيب نارٍ آكلة، نوءٍ وسيلٍ وحجارة بَردٍ، لأنه من صوت الرب يرتاع أشور» (إش 30: 30، 31). «قال العدو: أتبع. أدرك، أُقسم غنيمة. تمتلئ منهم نفسي. أُجرِّد سيفي. تُفنيهم يدي! نفختَ بريحك فغطاهم البحر. غاصوا كالرصاص في مياهٍ غامرة» (خر 15: 9، 10). «والعالم يمضي وشهوته. وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (1يو 2: 17).

ويُختم هذا العدد الثاني من ترنيمة هذا المزمور بقرار يتكرر في نهاية المزمور، ويقول: «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب» (آيتا 7، 11). هو الذي قال عنه داود لجليات الجبار: «أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باسم رب الجنود» (1صم 17: 45). وجنوده هم كل الخلائق (تك 2: 1). وهم شعبه الذين اختارهم (خر 7: 4). وهم الشمس والقمر والنجوم (تث 4: 19 و17: 3). وهم الملائكة (لو 2: 13). إنه رب المجد، صاحب كل سلطان في السماء والأرض. وجنود الشر هم جنوده بمعنى آخر، فهُم يحقِّقون مقاصده الإلهية بالرغم منهم.

«رب الجنود معنا» فهو «عمانوئيل» الذي تفسيره «الله معنا» (مت 1: 23) وهو «إله يعقوب» بمعنى أنه إله العهد، الذي أنعم على يعقوب أبي الأسباط، فأدخله في عهدٍ معه عندما كان هارباً من وجه أخيه عيسو ومسافراً إلى بيت خاله لابان، ووعده أن يكون معه ويحفظه ويعيده إلى أرضه

(تك 28: 10–21). ومع أن يعقوب أخطأ وغشَّ مرات، إلا أن الرب لم يرفضه، بل جدَّد له الوعد القديم (تك 32: 22–29) لأن العهد لم يكن متوقِّفاً على صلاح يعقوب، بل على أمانة الرب لكلمته.

هذا هو إله يعقوب، ملجأنا، الذي تنازل وأدخلنا معه في عهدٍ لم يكن يخطر لنا على بال.

ثالثاً ـ قوة الله تُسكِت أعداءه

(آيات 8-11)

1- الله يُخضع أعداءه: «هلم انظروا أعمال الله، كيف جعل خِرباً في الأرض، مُسَكِّن الحروب إلى أقصى الأرض. يكسر القوس ويقطع الرمح. المركبات يحرقها بالنار» (آيتا 8، 9). هذه دعوة لأن نتعلم درساً من أعمال الله الذي يُخضع أعداءه. إنها تكرر الأمر الإلهي: «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ. واعرفوا أيها القريبون بطشي» (إش 33: 13). هزم الرب جيش سنحاريب بطريقة غير متوقَّعة. ويقول المؤرخ المقدس: «فخرج ملاك الرب وضرب من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً. فلما بكروا صباحاً إذا هم جميعاً جثث ميتة، فانصرف سنحاريب ملك أشور وذهب راجعاً» (إش 37: 36، 37). فلنتأمل كيف يُخضع الرب أعداءه! وهذا التأمل الحكيم دعوةٌ للنفس البعيدة عن الرب لترجع إليه بالتوبة، ولتسلم له الحياة، ولتخضع له بكامل رغبتها. «قولوا لله: ما أهيب أعمالك! من عظم قوتك تتملَّق لك أعداؤك» (مز 66: 3).

وهذا الذي جرى مع جيش أشور عربون لما سيحدث في المستقبل، فيقول الوحي: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبُله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمةٌ على أمةٍ سيفاً، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» (إش 2: 2–4 وميخا 4: 1–5).

2 ـ الله يوقف مقاومة أعدائه: «كفّوا واعلموا أني أنا الله. أتعالى بين الأمم، أتعالى في الأرض» (آية 10). قد ينهزم العدو، ولكن مرارة الهزيمة تدفعه للمزيد من الكراهية. فيطلب الله من أعدائه المهزومين أن يتوقَّفوا عن عدائهم لشعبه، ويطالبهم أن يعترفوا به سيداً صاحب سلطان. ويناديهم المرنم: «فالآن يا أيها الملوك تعقَّلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة»

(مز 2: 10، 11). ولا بد أن تخضع كل الشعوب للرب، وتجثو له كل ركبة «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده» (زك 14: 9).

وينتهي العدد الثالث من ترنيمة هذا المزمور بالقرار الذي انتهى به العدد الثاني، والذي يقول: «رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب» (آية 11). فليهتف المؤمنون جميعاً بعد أن جاءهم الانتصار السماوي. صحيحٌ أن جنود العدو قد يعودون لحصارهم، لكن رب الجنود معهم. أمامهم وخلفهم، فوقهم وحولهم. إنه ملجأهم، وكما فعل مع يعقوب سيفعل معهم، فيقولون: «نترنم بخلاصك، وباسم إلهنا نرفع رايتنا» (مز 20: 5).

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

1يَا جَمِيعَ الأُمَمِ، صَفِّقُوا بِالأَيَادِي. اهْتِفُوا لِلَّهِ بِصَوْتِ الابْتِهَاجِ، 2لأَنَّ الرَّبَّ عَلِيٌّ مَخُوفٌ، مَلِكٌ كَبِيرٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ، 3يُخْضِعُ الشُّعُوبَ تَحْتَنَا، وَالأُمَمَ تَحْتَ أَقْدَامِنَا. 4يَخْتَارُ لَنَا نَصِيبَنَا، فَخْرَ يَعْقُوبَ الَّذِي أَحَبَّهُ. سِلاَهْ.

5صَعِدَ اللهُ بِهُتَافٍ، الرَّبُّ بِصَوْتِ الصُّورِ. 6رَنِّمُوا لِلَّهِ، رَنِّمُوا. رَنِّمُوا لِمَلِكِنَا، رَنِّمُوا. 7لأَنَّ اللهَ مَلِكُ الأَرْضِ كُلِّهَا رَنِّمُوا قَصِيدَةً. 8مَلَكَ اللهُ عَلَى الأُمَمِ. اللهُ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ قُدْسِهِ. 9شُرَفَاءُ الشُّعُوبِ اجْتَمَعُوا. شَعْبُ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ. لأَنَّ لِلَّهِ مَجَانَّ الأَرْضِ. هُوَ مُتَعَالٍ جِدّاً.

صعد الله بهتاف

المزامير 46–48 ثلاثية تسبيح للرب الذي نجى أورشليم من سنحاريب ملك أشور (راجع مقدمة مز 46). قال الله: «كفّوا واعلموا إني أنا الله.. أتعالى في الأرض» (مز 46: 10). وقال النبي إشعياء: «ينزل ربُّ الجنود للمحاربة عن جبل صهيون» (إش 31: 4). ولقد نزل وأنقذ شعبه، ثم صعد. وفي مزمورنا يؤكد ذلك بقوله: «صعد الله بهتاف» (آية 5). وقد اعتبرت الكنيسة هذه الآية نبوَّة عن صعود المسيح الذي نزل أرضنا، وصُلب عنا، وقام بعد أن هزم العدو، وصعد إلى مجده الأبدي. فكان هذا المزمور يُقرأ أثناء الاحتفال بعيد صعود المسيح.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – تسبيح الرب الذي اختار بني إسرائيل (آيات 1–4)

ثانياً – تسبيح الرب الذي أظهر قوته (آيات 5–7)

ثالثاً – تسبيح الرب الذي أخضع أعداءه (آيات 8، 9)

أولاً - تسبيح الرب الذي اختار بني إسرائيل

(آيات 1-4)

1 - كيفية التسبيح:

(أ) **بالتصفيق**: «يا جميع الأمم صفِّقوا بالأيادي» (آية 1أ). كانوا يحيّون الملك عند تتصيبه بالتصفيق، كما حدث مع يوآش بن أخزيا، فيقول المؤرخ المقدس: «وأَخرج (يهوياداعُ رئيسُ الكهنة) ابنَ الملك، ووضع عليه التاج، وأعطاه الشهادة (سفر الشريعة). فملَّكوه ومسحوه، وصفَّقوا وقالوا: ليحيَ الملك» (2مل 11: 12). وقال موسى: «تهللوا أيها الأمم، شعبُه» (تث 32: 43). فالدعوة موجَّهةٌ إلى جميع الأمم ليصفقوا بالأيادي معلنين أن «الرب هو الله» وهو الملك الجالس على عرشه.

(ب) **بالهتاف**: «اهتفوا لله بصوت الابتهاج» (آية 1ب). والهتاف هو الصوت الذي ينطلق من القلوب قبل أن ينطلق من الحناجر تحية للملك، كما هتفوا لشاول عندما قال صموئيل لجميع الشعب: «أرأيتُم الذي اختاره الرب، أنه ليس مثله في جميع الشعب؟» فهتف كل الشعب وقالوا: «ليحيَ الملك» (1صم 10: 24).

فلنهتف بصوت الابتهاج قائلين: ليحيَ الملك الحي المنتصر، الذي خرج غالباً ولكي يغلب، ولا يمكن أن ينهزم أبداً.

2 - سبب التسبيح:

(أ) **لأنه ملك الأرض كلها**: «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض» (آية 2). إنه أعلى من كل الأوثان، ومن كل إله ومعبود يتَّخذه البشر الخطاؤون. من مثله معتزٌّ في القداسة، مخوفٌ بالتسابيح، صانع عجائب؟ (خر 15: 11). قال المسيح: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع» (يو 3: 31). والمسيح هو فوق الجميع لأنه جاء عالمنا بعد أن حُبل به بالروح القدس.. ولا يمكن أن نقارنه بأي شخص سواه، في القداسة وسموّ التعليم، وإجراء المعجزات، وفي أنه سيعود إلى أرضنا ديّاناً للأحياء والأموات. لقد وُصف سنحاريب بأنه «الملك العظيم» (إش 36: 4). لكن أين عظمته

الفانية من عظمة الرب ملك كل الأرض؟ لقد انهزم سنحاريب وهرب عائداً إلى بلاده، حيث انتهت حياته على يد ولديه!

(ب) لأنه يُخضع الأعداء: «يُخضِع الشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا» (آية 3). يخضعهم بكلمته وبسلطانه خضوعاً كاملاً. «تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب، لمجد الله الآب» (في 2: 10، 11). وواضح أن أعتى عدو للمؤمن هو «الشرير» ولكن «أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علوٍّ يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (2كو 10: 4، 5).

(ج) لأنه يختار نصيبنا: «يختار لنا نصيبنا، فخر يعقوب الذي أحبَّه» (آية 4). اختار الرب يعقوب لأنه أحبَّ يعقوب، لا لأن يعقوب يستحق. وأعطاه الوعد بالأرض، وحقق وعده لنسله، فقال لهم موسى: «حين قسم العلي للأمم، حين فرَّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل». لقد وزَّع الله أمم العالم وهو يفكر في جماعة المؤمنين! وعندما عيَّن حدود مسكن الوثنيين جعل «قِسْم الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خَرِب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه» (تث 32: 8-10).

ويختار الرب لنا دوماً ما نفتخر به. قد يتذمر البعض عندما يوزِّع الله الأنصبة عليهم. لكن بعد وقتٍ، عندما يراجعون حياتهم الماضية يكتشفون روعة اختيار الله لهم، فيطلبون غفرانه على تذمُّرهم، ويشكرونه على ما اختار. فلنشكره ولنسبحه لأنه يختار لنا الأفضل والأنسب دائماً.

ثانياً - تسبيح الرب الذي أظهر قوته

(آيات 5-7)

1- أظهر قوته بالهتاف: «صعد الله بهتاف، الرب بصوت الصُّور. رنِّموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا» (آيتا 5 و6). نزل الله لينقذ شعبه، وصعد بهتاف الانتصار. وهذه تعبيرات إنسانية (كقولك: يد الله) ومعناها أن الله يهتم اهتماماً كبيراً بشعبه، حتى «ينزل» من سماواته إلى أرضهم لينقذهم، ويربت على أكتافهم ليعزيهم ويشجعهم، كما قال لموسى: «أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب». فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب: «إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعتُ صراخهم من أجل مسخِّريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرضٍ تفيض لبناً وعسلاً» (خر

3: 6–8). ولما أنجز العمل الذي جاء من أجله «نزل»، صعد بالهتاف وموسيقى الصور، تلك الآلات الموسيقية التي يعزف عليها شعبُه شكراً لجلاله. وقد كانوا يُصعِدون تابوت الرب (رمز حضوره وسط شعبه) «بالهتاف وبصوت البوق» (2صم 6: 15).

وفي روح الإنجيل نسبِّح المسيح الذي نزل إلينا نحن الخطاة الضالين، إلى أقسام الأرض السفلى، وأتمَّ خلاصنا، وقام من الأموات منتصراً، ثم صعد إلى مجده. و«إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى» (مز 68: 18 وأف 4: 8–10). إن كان بنو إسرائيل هتفوا: «رنِّموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا» لأنه أنقذهم من فرعون وسنحاريب، فإننا نهتف أكثر جداً، شكراً لله على محبته لنا، وهي محبةٌ «فائقة المعرفة» (أف 3: 19). فإلهُنا لا يتعالى علينا، لكنه يتنازل ليخلِّصنا، فيملأ قلوبنا بالفرح والتهليل لأنه ينقذنا من عار خطيتنا، ومن سلطانها، ومن عقابها. ويسير معنا رحلة حياتنا راعياً صالحاً يهتم بحاضرنا، ويخطط لمستقبلنا، ويصاحبنا في كل خطواتنا.

2 - أظهر قوته بالمُلك على الأرض كلها: «لأن الله ملك الأرض كلها، رنموا قصيدة» (آية 7). الله هو المالك، لأنه الخالق، والمدبِّر. فلنكتب قصيدة بليغة، نعبِّر له فيها عن شكرنا وتقديرنا، ونعترف له بمديونيتنا، فهو أول من يستحق الشكر والثناء: «متكلِّمٌ أنا بإنشائي للملك» (مز 45: 1). «وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب» (كو 3: 16).

ما أكثر من يختبرون عناية الله، ويرون سلطانه على الأرض، فهو يسمع صلاتهم وينجيهم من ضيقاتهم ويمنحهم النجاح والصحة والولد والمال. وحسناً يفعلون، فهو سامع الصلاة، الذي إليه يأتي كل بشر (مز 65: 2). ولكن قليلين يختبرون سلطانه في السماء بإنقاذهم من خطاياهم ونقلهم إلى الحرية التي في المسيح. وهذا أفضل ما يفعلون لحاضرهم ومستقبلهم، فهو القائل: «التفتوا إليَّ واخلُصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله، وليس آخر» (إش 45: 22). وندعو القارئ الكريم أن يرنم قصيدة شكر لإله العناية، ثم يرنم قصيدة شكر لإله الخلاص، قائلاً: «باركي يا نفسي الرب.. الذي يغفر جميع ذنوبك.. الذي يفدي من الحفرة حياتك» (مز 103: 1–5).

ثالثاً - تسبيح الرب الذي أخضع أعداءه

(آيتا 8، 9)

1 - أخضع الشعوب: «ملك الله على الأمم. الله جلس على كرسي قدسه» (آية 8). إنه الملك، الذي يعطي كل يوم برهاناً جديداً على أنه صاحب السلطان الكامل على الجميع. إنه على عرشه المقدس. «الرب في السماوات ثبَّت كرسيه، ومملكته على الكل تسود» (مز 103: 19). يسود الرب على الملائكة المقتدرين، فينفذون أوامره، ويسود على جميع جنوده الذين يخدمونه ويعملون مرضاته، ويسود على جميع أعماله في كل مواضع سلطانه (مز 103: 20–22). لهذا هتف الملاك عند البوق السابع : «صارت ممالك العالم لربنا ولمسيحه. فسيملك إلى أبد الآبدين. والأربعة والعشرون شيخاً الجالسون أمام الله على عروشهم خرّوا على وجوههم وسجدوا لله، قائلين: نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، الكائن والذي كان والذي يأتي، لأنك أخذت قدرتك العظيمة وملكتَ. وغضبت الأمم فأتى غضبك وزمان الأموات ليُدانوا ولتعطَى الأجرة لعبيدك الأنبياء والقديسين والخائفين اسمك الصغار والكبار» (رؤ 11: 15، 18).

أخضع الله الأمم، وملك عليهم، و«جلس». كما جلس المسيح في يمين العظمة في الأعالي (عب 1: 3) بعد أن أكمل العمل الفدائي، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماء. لقد نزل إلى أرضنا وتمم عمل الخلاص ورجع إلى المجد الذي جاء منه، وقال: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه» (يو 17: 4).

2 - أخضع الشرفاء: «شرفاء الشعوب اجتمعوا، شعب إله إبراهيم» (آية 9أ). تحقق هنا ما قاله المرنم في مطلع المزمور من أن جميع الأمم تصفِّق بالأيادي، وتهتف لله بصوت الابتهاج. والقول «شعب إله إبراهيم» يحمل معنيين: إن أمراء الشعوب الذين يمثلون ممالكهم جاءوا إليه وصاروا شعب إله إبراهيم، ولذلك يقول: «مبارك شعبي مصر، وعمل يديَّ أشور، ومراثي إسرائيل» (إش 19: 25). لقد أظهر سلطانه للجميع، فتعبَّد الجميع له. وقد يعني: إن شرفاء الشعوب اجتمعوا ليسجدوا لله مع شعب إله إبراهيم، لأنهم أدركوا أنه هو الإله الحقيقي وحده.

3 – الجميع في حمايته: «لأن لله مجان الأرض. هو متعالٍ جداً» (آية 9ب). والمجان جمع «مجن» أي الترس الكبير، وهو قطعة خشب مغطاة بالجلد، يحمي بها الجندي نفسه من طلقات السهام. والمعنى أن الله يحمي الأرض كلها. ولأنه متعالٍ جداً فإنه يرى الجميع ويحمي الكل. وكانوا يُطلقون على الأمير أو الملك أنه «المجن» لأنه يحمي شعبه. فالله يحمينا لأنه الملك العظيم. حاصر سنحاريب أورشليم بجيشه الجرار، وسخر من إلهها وهددها، فكان الله المتعالي ترساً ومجنّاً حمى شعبه وبدَّد أعداءه. فلنرنم ترنيمة الخلاص: «يا جميع الأمم، صفقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج» «لأن الرب مجنُّنا، وقدوس إسرائيل ملكنا» (مز 89: 18).

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ

تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ

1عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدّاً فِي مَدِينَةِ إِلَهِنَا جَبَلِ قُدْسِهِ. 2جَمِيلُ الارْتِفَاعِ، فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. 3اَللهُ فِي قُصُورِهَا يُعْرَفُ مَلْجَأً.

4لأَنَّهُ هُوَذَا الْمُلُوكُ اجْتَمَعُوا. مَضُوا جَمِيعاً. 5لَمَّا رَأُوا بُهِتُوا ارْتَاعُوا فَرُّوا. 6أَخَذَتْهُمُ الرَّعْدَةُ هُنَاكَ، وَالْمَخَاضُ كَوَالِدَةٍ، 7بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ تَكْسِرُ سُفُنَ تَرْشِيشَ. 8كَمَا سَمِعْنَا هَكَذَا رَأَيْنَا فِي مَدِينَةِ رَبِّ الْجُنُودِ فِي مَدِينَةِ إِلَهِنَا. اللهُ يُثَبِّتُهَا إِلَى الأَبَدِ. سِلاَهْ.

9ذَكَرْنَا يَا اللهُ رَحْمَتَكَ فِي وَسَطِ هَيْكَلِكَ. 10نَظِيرُ اسْمِكَ يَا اللهُ تَسْبِيحُكَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. يَمِينُكَ مَلآنَةٌ بِرّاً. 11يَفْرَحُ جَبَلُ صِهْيَوْنَ، تَبْتَهِجُ بَنَاتُ يَهُوذَا مِنْ أَجْلِ أَحْكَامِكَ.

12طُوفُوا بِصِهْيَوْنَ وَدُورُوا حَوْلَهَا. عُدُّوا أَبْرَاجَهَا. 13ضَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى مَتَارِسِهَا. تَأَمَّلُوا قُصُورَهَا لِكَيْ تُحَدِّثُوا بِهَا جِيلاً آخَرَ. 14لأَنَّ اللهَ هَذَا هُوَ إِلَهُنَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. هُوَ يَهْدِينَا حَتَّى إِلَى الْمَوْتِ.

كما سمعنا هكذا رأينا

المزامير 46–48 ثلاثية تسبيح للرب الذي نجى أورشليم من سنحاريب ملك أشور (راجع مقدمة مز 46). ويتحدَّث هذا المزمور عن عظمة الله ومجد كنيسته.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مجد الكنيسة (آيات 1–8)

ثانياً – كرازة الكنيسة (آيات 9–11)

ثالثاً – واجب الشعب من نحو الكنيسة (آيات 12–14)

أولاً ـ مجد الكنيسة

(آيات 1-8)

1 ـ مجدها في انتمائها: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه» (آية 1). هي «مدينة إلهنا، جبل قدسه» وهي «مدينة الملك العظيم» (آية 2 ومت 5: 35) وهي «مدينة رب الجنود» (آية 8) التي قال عنها: «هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيتُها» (مز 132: 13، 14). ونتيجةً لهذا الانتماء تعبد وتسبِّح وتحمِّد إلهها العظيم الذي ظهرت عظمته في إنقاذها، والذي تظهر عظمته دائماً في هيكله المقدس حيث يقدمون له ذبائح الشكر، ويجتمعون باسمه ليعبدوه، فيتمتعون بجلال حضوره المقدس بينهم، حسب وعده: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 18: 20). «الرب إلهك تتَّقي، وإياه تعبد وبه تلتصق.. هو فخرك وهو إلهك الذي صنع معك تلك العظائم والمخاوف التي أبصرتها عيناك» (تث 10: 20، 21).

2 ـ مجدها في ارتفاعها: «جميل الارتفاع. فرح كل الأرض جبل صهيون. فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم» (آية 2). بُني الهيكل على جبل صهيون المرتفع، في مدينة أورشليم المرتفعة، فكان يُرى من كل مكان، تلمع قبته الذهبية واضحة للكل. ولا يقصد المرنم الارتفاع الجغرافي فقط، بل الارتفاع الروحي أيضاً، فما أرفع شريعة الله! ولعل المسيح كان يفكر في أورشليم وهو يقول: «لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة، فيضيء لجميع الذين في البيت. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (مت 5: 14–16) ، فيشعّ نور المؤمنين على المحيطين بهم،

ويصيرون مصدر «فرح أقاصي الشمال» لكل الأرض من أقصاها إلى أقصاها. فلنكن كالجبال ارتفاعاً في قامتنا الروحية، مجاهدين أن نصل إلى «قياس قامة ملء المسيح» (أف 4: 13) لأن مبادئ ملكوت السموات تحكم تصرفنا اليومي. ولنتصرَّف باعتبار أننا هيكلٌ مقدَّس للرب، ملكٌ له، نعلن مجد قداسته لكل من يرانا، فيتحقَّق معنا الوعد: «جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم» (إش 2: 2 ومي 4: 1).

3 - مجدها في انتصارها: «الله في قصورها يُعرَف ملجأ. هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً. لما رأوا بُهتوا، ارتاعوا. فرّوا. أخذتهم الرعدة هناك والمخاض كوالدة. بريح شرقية تكسر سفن ترشيش» (آيات 3–7). بالرغم من مجد الكنيسة، وبسبب مجدها، يهاجمها الأعداء من داخلها ومن خارجها. فقد تتجرَّب من داخلها بالشك، والكسل، ومحبة العالم والتشبُّه به، ولكن الروح القدس يوقظها لتنفض عنها شكها وكسلها وضعفها. وقد يهاجمها الأعداء من خارجها. ولكن حتى إن أحاط بها الأعداء من كل جانب، فالروح القدس في قصورها يحميها، ويدمِّر عدوها، فلا تقوى عليها أبواب الجحيم (مت 16: 18). والمؤمنون يعرفون هذه الحقائق المطمئنة من إعلان الرب عن نفسه، ومن اختباراتهم الكثيرة معه، فهم جنس مختار، كهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء (1بط 2: 9). لما اتَّحد الموآبيون والعمونيون ليحاربوا الملك يهوشافاط، ووجد نفسه عاجزاً عن مقاومتهم، صلَّى. ونصحه النبي يَحْزَئيل (من بني آساف) أن يلاقي العدو بالترنيم والهتاف: «احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته». ولما ابتدأوا في الغناء والتسبيح هاجم الأعداء بعضهم بعضاً، فتبدَّد شملهم فجأة في رعب، ونصر الله شعبه (2أخ 20).. وقال الملك سنحاريب في جهالته للملك حزقيا: «لا يخدعك إلهك الذي أنت متوكل عليه» (إش 37: 10). لكن حزقيا والنبي إشعياء كانا يدركان أن «الله في قصورها يُعرَف ملجأ». وتعامل الله مع سنحاريب بطريقته الخاصة، فهرب مع جنوده فجأة في خوف. وهذا ما حدث عبر كل العصور مع كل من يهاجم جماعة الله، مهما كانت قوته وسطوته. وهو أيضاً ما زال يحدث.

وينتصر المؤمنون بقوة ليست منهم «بريح شرقية تكسر سفن ترشيش». وسفن ترشيش (جنوب غرب أسبانيا) سفن ضخمة مشهورة ببحارتها المختبرين العارفين بالبحر (إش 2: 16). ولكن الريح الشرقية تفوق قدرتهم على المواجهة، فتكسِّر سفنهم، ولا يملكون لأنفسهم نجاة. والريح الشرقية عاتية مدمِّرة، وترمز للقضاء الإلهي كما قيل: «أزالها بريحه العاصفة، في يوم الشرقية» (إش 27: 8). حقاً «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19).

4 - مجدها في ماضيها وحاضرها: «كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، في مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد» (آية 8). سمعوا عن أعمال الله من آبائهم، ففي كل عيد فصح كان الآباء يروون

للأبناء والأحفاد قصة الخروج المعجزية (خر 13: 8–10). ويُعيد التعامل الإلهي نفسه، فما حدث في الماضي يتكرر في وقتنا الحاضر، والمعجزة الجديدة تُصدِّق على المعجزات السابقة. (انظر تعليقنا على «رب الجنود» في مز 46: 7).

ثانياً ـ كرازة الكنيسة

(آيات 9-11)

1- الكنيسة تكرز في بيت الرب: «ذكرنا يا الله رحمتك في وسط هيكلك» (آية 9). في هيكل الرب تتَّضح الأمور الروحية للسامعين بصورة أفضل، كما قال آساف: «حتى دخلتُ مقادس الله وانتبهتُ إلى آخرتهم» (مز 73: 17). في بيت الرب تليق القداسة (مز 93: 5). هناك رأى إشعياء قداسة الرب، ومسَّ واحدٌ من السرافيم شفتيه فانتُزع إثمه وكُفِّر عن خطيته (إش 6: 6، 7). وفي بيت الرب يقدمون ذبائح الخطية اعترافاً لإله الغفران، وذبائح السلامة شكراً لإله العطاء. وفي بيت الرب تُقرأ كلمة الله سراجاً ونوراً لسبيل السامعين (لو 4: 17). والكنيسة التي تمتعت بأمجاد الله تعلن فضله وتذيع حقه في بيته.

2 - الكنيسة تكرز للعالم: «نظير اسمك يا الله تسبيحك إلى أقاصي الأرض، يمينك ملآنة براً» (آية 10). تكرز الكنيسة في بيت الرب لمن يأتون إلى بيته. ولكن ما أكثر من لا يأتون، فتذهب إليهم الكنيسة حيث يكونون، تعلن لهم محبة الله وأمانته، وتقول: «جاء وبشَّركم بسلام، أنتم البعيدين والقريبين» (أف 2: 17). إنها تشبه راعيها الصالح الذي ذهب يفتش عن الواحد الضال ليردَّه (لو 15: 4) فتنادي بالنيابة عنه: «اسمعوا أيها البعيدون ما صنعتُ» (إش 33: 13). إنها تعلِّم أن اسم الله ومجده يملآن السماء والأرض، تعلنه الأفلاك والكلمة المقدسة وسلوك المؤمنين، ولو أن العيون العمياء لا تبصر، والآذان الصماء لا تسمع، فتذيع الكنيسة تسبيح الله إلى أقاصي الأرض، تسبيحاً يليق باسمه المحب الكريم. وتعلن أن يمينه ملآنة بالبر (أي العدالة) فيهتف شعبه بعدالته، كما غنت مريم (خر 15) ودبورة (قض 5) وحنة (1صم 2) وأليصابات والعذراء مريم (لو 2)، ليُسمِعوا الأرض كلها أخبار إحسانه وأمانته وبرِّه وعدالته. فلنعترف أمام الجميع بإله الخلاص. «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأَخبِرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر 5: 19) لأن «من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات. ولكن من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات» (مت 10: 32، 33).

3 - الكنيسة تكرز برسالة الفرح: « يفرح جبل صهيون. تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكامك» (آية 11). يفرح جبل صهيون حيث العاصمة الدينية والسياسية بأحكام الرب وشريعته، وتبتهج القرى

الصغيرة (التي يسمّيها «بنات يهوذا») لأن شريعة الرب العادلة سادت في الأرض، فيكون فرح الرب مصدر قوة للمؤمنين (نح 8: 10) وسبب إقبال الحزانى والمتعَبين إلى الرب مصدر الفرح الحقيقي والدائم. ولا بد أن نسمع الهتاف: «هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامه حقٌّ وعادلةٌ» (رؤ 19: 1، 2).

ثالثاً ـ واجب الشعب من نحو الكنيسة

(آيات 12-14)

1 - أن يعرف أحوالها: «طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عُدُّوا أبراجها» (آية 12). حاصر العدو أورشليم وأرعب سكانها، وعدَّ أبراج الدفاع عنها (إش 33: 18) ، فأجلاه الله وأبعده. ويطالب المرنم المؤمنين أن يدوروا حول أسوار مدينتهم المحرَّرة، ليعرفوا أحوالها، ويشكروا الله الذي نجاها، محقِّقين الأمر النبوي: «انظُر صهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً، خيمة لا تنتقل. لا تُقلع أوتادها إلى الأبد، وشيء من أطنابها لا ينقطع» (إش 33: 20).. وهذا ما فعله نحميا بعد أن قاد شعبه في بناء سور أورشليم ودشَّنوه، فاجتمعوا حول المدينة، وأقاموا فرقتين عظيمتين من المرنمين يميناً على السور (نح 12: 27–31).

2 - أن يفكر فيها: «ضعوا قلوبكم على متارسها» (آية 13أ). المتاريس هي الحصون. ويطلب المرنم من المؤمنين أن يضعوا قلوبهم عليها ويتأملوها، شاكرين الله الذي دافع عنها بعد أن حاول العدو هدمها، أو استخدامها لمهاجمة المدينة. فيقول شعب الرب: «لنا مدينةٌ قوية. يجعل الخلاص أسواراً ومترسة» (إش 26: 1). من المؤلم أن بعض المؤمنين لا يذكرون إلا ضعفات كنيستهم. وهي فعلاً لها ضعفاتها، لكن لا يجب أن ننسى أبداً أن الله جعل لمدينته متاريس وحصوناً، وأنه يدافع عنها وينصرها. فلنذكر بالشكر لله خدمة الكنيسة لمجتمعنا، ولنقدِّر قيمة إخوتنا من المؤمنين، مهما اختلفنا معهم، لأنهم ملح الأرض ونور العالم والخميرة التي تُخمِّر العجين كله. ودعونا نحيا على المستوى الذي يطلبه الله منا، فإن البعيدين عن الكنيسة يريدون أن يروا في المؤمنين القداسة التي لا يرونها في العالم.

3 - أن يشهد لسيدها: «تأملوا قصورها لكي تحدِّثوا بها جيلاً آخر» (آية 13ب). بعد أن يطوف المؤمنون بأسوار الكنيسة شاكرين الله الذي يحميها وينصرها، يحدِّثون الجيل القادم بما حدث معهم ومعها. فليتحدَّث كل جيل عن الجيل العظيم الذي سبقه، وليحدِّث الجيل الحالي الجيل القادم، فنمجد

إلهنا على عمله العظيم. لنركز النظر على جمال كنيستنا، كما نركزه على نقصاتها، فيقبل الله شكرنا على جمال كنيسته، ويكمل نقصاتها بعمل الروح القدس الذي لا بد سيأتي بنهضة روحية، بدءاً من كل واحد منا.

4 - أن يفتخر بإلهها: «لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت» (آية 14). يفتخر بعلاقته الشخصية بالرب، وباختباراته العظيمة والعميقة معه. لقد أعلن شعبُه انتماءه له، وهو يعزم أن يكمل المسيرة معه، معلناً أن الله هو إلهه إلى الدهر والأبد، وأنه واثق في إرشاده وهدايته له، بكلمته، وبروحه، وبعنايته، وبالمرشدين الروحيين الذين يفصّلون كلمة الحق بالاستقامة (2تي 2: 15).

ويعلن شعب الرب فخرهم بالرب «حتى إلى الموت» وهذا يعني أن الله سيهديهم حتى يصلوا إلى بيتهم الأبدي، كما أنه يهديهم مهما كانت خطورة الحالة التي هم فيها. فهو لا يتركهم لحظة واحدة.

رأى النبي إشعياء والملك حزقيا نهاية الحصار وهزيمة العدو بعين الإيمان، وأدركا أن الخلاص قادم. فلتمتلئ نفوسنا بالثقة والتأكد أن إلهنا يُعرَف ملجأ، وأنه يدبر أمرنا ويبارك حياتنا، مهما كانت خطورة موقفنا.

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ

1اسْمَعُوا هَذَا يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ. أَصْغُوا يَا جَمِيعَ سُكَّانِ الدُّنْيَا، 2عَالٍ وَدُونٍ أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ سَوَاءً. 3فَمِي يَتَكَلَّمُ بِالْحِكَمِ، وَلَهَجُ قَلْبِي فَهْمٌ. 4أُمِيلُ أُذُنِي إِلَى مَثَلٍ، وَأُوضِّحُ بِعُودٍ لُغْزِي.

5لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ، 6الَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ؟ 7الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ. 8وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، فَغَلَقَتْ إِلَى الدَّهْرِ – 9حَتَّى يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ. 10بَلْ يَرَاهُ! الْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذَلِكَ الْجَاهِلُ وَالْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ ثَرْوَتَهُمَا لآخَرِينَ. 11بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ، مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. يُنَادُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الأَرَاضِي. 12وَالإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ، يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ. 13هَذَا طَرِيقُهُمُ اعْتِمَادُهُمْ، وَخُلَفَاؤُهُمْ يَرْتَضُونَ بِأَقْوَالِهِمْ. سِلاَهْ. 14مِثْلُ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ يُسَاقُونَ. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ، وَيَسُودُهُمُ الْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ تَبْلَى. الْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ لَهُمْ. 15إِنَّمَا اللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ، لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي. سِلاَهْ.

16لاَ تَخْشَ إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ، 17لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلُّهُ لاَ يَأْخُذُ. لاَ يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ، 18لأَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ يُبَارِكُ نَفْسَهُ. وَيَحْمَدُونَكَ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى نَفْسِكَ. 19تَدْخُلُ إِلَى جِيلِ آبَائِهِ الَّذِينَ لاَ يُعَايِنُونَ النُّورَ إِلَى الأَبَدِ. 20إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ.

نصيحة للأغنياء الأغبياء

هذا المزمور وعظي تعليمي يعالج موضوعاً يهم الناس جميعاً، هو الغِنى، فالمال هو القوة المسيطرة على تفكير معظم الناس، يرتعب الفقراء أمامه بسبب عجزهم، ويتباهى الأغنياء به بسبب حظهم. مع أن الله يقول للفقراء: «انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت 6: 26) ويقول للأغنياء: «انظروا وتحفَّظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحدٍ كثير، فليست حياته من أمواله» (لو 12:15). لكن المرنم

الحكيم يوضح لنا محدودية قوة المال، فهو لا يقدر أن يمنع الموت، كما أن صاحبه يتركه كله عند موته!

كما يعلمنا أن المستقيمين هم الغالبون (آية 14) وأن الله سيفدي نفوسهم من القبر (آية 15). ويذكِّرنا هذا المزمور بمثَلين رواهما المسيح عن غنيٍّ غبي ظنَّ أن حياته من أمواله، فمات من ليلته تاركاً كل ما كنز (لو 12:16–21) ومثل غني لم يهتم بفقيرٍ مطروح عند بابه، فانتهت حياة الغني في الجحيم والعذاب (لو 16:19–31).

ولا يعني هذا أن كل الأغنياء أغبياء، ولا أن كل الفقراء حكماء، فهناك أغنياء حكماء يكرمون الرب من أموالهم، مثل أيوب إمام الصابرين، وإبراهيم خليل الله. وهناك فقراء أغبياء بعيدون عن الرب. وليس المال في حد ذاته شراً ولا خيراً، ولكن استعمال الإنسان للمال هو الاستعمال الصالح أو الشرير. المال سيد قاس لكنه خادم نافع. فإن سيَّدناه على حياتنا صار صنماً، وإن استخدمناه استخداماً صالحاً صار خادماً نافعاً لنا ولعائلاتنا وجيراننا.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الواعظ الحكيم (آيات 1–4)

ثانياً – الأغنياء الأغبياء (آيات 5–15)

ثالثاً – موقف المؤمن من الأغنياء الأغبياء (آيات 16–20)

أولاً ـ الواعظ الحكيم

(آيات 1-4)

اكتشف المرنم أمراً أراد إبلاغه لكل الناس، عن تقييم الغِنى والثراء والشرف. ونرى في هذا الواعظ الحكيم:

1 ـ أنه واعظ لكل الناس: «اسمعوا هذا يا جميع الشعوب. أصغوا يا جميع سكان الدنيا، عالٍ ودون، أغنياء وفقراء، سواء» (آيتا 1، 2). فموضوع حديث المرنم يهم الناس جميعاً، وهو ما يقوله الله عن الثروة لسكان «الدنيا» الفانية العابرة. «من له أذنان للسمع فليسمع» (مت 13: 9). والناس بالنسبة للمال «عال ودون، أغنياء وفقراء». ومهما كانت حالة الناس الاقتصادية فهم يحتاجون لمعرفة المبادئ الإلهية، ليقيِّموا الثراء والغِنى تقييماً سليماً، فلا يضع الأغنياء عليه قلوبهم، ويتعلم الفقراء أن يكونوا

مُكتفين بما عندهم، ويشكروا الله على ما منحه لهم من ثروات لا يقدر المال أن يشتريها من صحة وحكمة وعائلة ونعمة، مدركين أن «لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم 17: 1). وفي هذا تحذير للأغنياء وتشجيع للفقراء.

2 - هو يعظ بعد تأمل وتفكير: «فمي يتكلم بالحِكم ولَهج قلبي فهمٌ» (آية 3). لقد أخذ الحكمة من الله، فكل ما يقوله ويكرره ويلهج به هو الحكمة والفهم عينهما. لقد طلب إرشاد الرب ورأى أن يقدم للجميع الحكمة التي تعلَّمها من الله. يقول: «روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني» (2صم 23: 2) و«طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة.. لأن تجارتها خيرٌ من تجارة الفضة» (أم 3: 13، 14). وكلمة الحكمة في لغة التوراة لا تعني المعرفة فقط، بل تعني أيضاً تطبيقها على الحياة، فهناك فرق بين المعرفة والحكمة. المعرفة معلومات تملأ العقل، لكن الحكمة سلوكٌ يومي، يطبِّق الفكر الإلهي على الواقع المُعاش.

3 - هو يعالج مواضيع صعبة: «أميل أذني إلى مثلٍ، وأوضّح بعودٍ لغزي» (آية 4). بعد سنين طويلة اكتشف المرنم مما اختبره وعرفه وسمعه ورآه حقيقة هامة، فضربها للناس مثلاً، لأن المثَل يوضح حقيقة صاغها عارفوها في عبارة مختصرة مسجوعة ليحفظها الجميع. وقد رأى المرنم أن تلك الحقيقة لغزٌ مبهم عند كثيرين، فأراد أن يوضِّحها بالترنيم والموسيقى حتى يسهُل على الناس حفظها، فاستخدم المواهب المختلفة التي أعطاها الله له، من إعلان سماوي، وقدرة على نظم الشعر، ووضع الألحان الموسيقية لكتابة هذا المزمور.

ومن مشاعر المرنم هذه نتعلم أنه عندما يعلن الله لنا فكرة أو اختباراً يجب أن نشارك فيه الناس، كما قال الرسول بولس لقسوس كنيسة أفسس: «لم أؤخِّر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتُكم وعلمتكم به جهراً وفي كل بيت، شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح.. لم أؤخِّر أن أخبركم بكل مشورة الله» (أع 20: 20، 21، 27) وكما قال لأهل كولوسي عن الإنجيل: «الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكي نُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع» (كو 1: 28).

ثانياً ـ الأغنياء الأغبياء

(آيات 5-15)

1 - هم أغبياء في موقفهم من المال: «لماذا أخاف في يوم الشر، عندما يحيط بي إثم متعقبيَّ، الـذين يتكلون على ثروتهم، وبكثرة غناهم يفتخرون؟» (آيتا 5، 6). يعلن المرنم أنه لا داعي لأن يخاف من الأغنياء الظالمين الذين يتعقَّبون الفقراء ويستغلونهم، ويبذلون جهدهم ليحصلوا على المال بكل وسيلة، ضاربين بوصايا الله عرض الحائط، فإنهم يرتكبون خطيتين: اتكلوا على المال مع أنه لا يمنع عـنهم الموت، وافتخروا به مع أن الفخر لا يكون إلا بالله وحده، مصدر المال، وبالمسيح الفـادي الكـريم، قائلين: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعـالم» (غل 6: 14). وعلى هذا فلا داعي للخوف من الأغنياء الأغبياء الظالمين، لأن الخاطئ لا بد سيدفع أجرة خطيته إن آجلاً أو عاجلاً. ويقول الله للمؤمنين: «أنا أنا هو معزّيكم. من أنتِ حتى تخافي مـن إنسانٍ يموت، ومن ابن الإنسان الذي يُجعَل كالعشب» (إش 51: 12).

2 - هم أغبياء في موقفهم من الموت: «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطـي الله كفـارة عنـه، وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر، حتى يحيا إلى الأبد، فلا يرى القبر. بل يراه. الحكمـاء يموتون، كذلك الجاهل والبليد يهلكان، ويتركان ثروتهما لآخرين» (آيـات 7-10). جعـل الأغنيـاء الأغبياء المال إلهاً يفتخرون به وكأنه سيفديهم من الموت والقبر، أو ينقذهم من أجرة الخطية التي هي موت روحي بالانفصال عن الله! وفي جهلهم ظنوا أن ثـروتهم تقـدر أن تحمـيهم مـن المخـاطر والصعوبات فجعلوها محل ثقتهم، وكأنها تقدر أن تشتري لهم كل شي بما في ذلك الحياة التي لا نهاية لها! وكل عابد وثن (مهما كان ذلك الوثن: صنماً أو مالاً أو عائلة أو علماً أو علاقة اجتماعية) ميـتٌ بذنوبه وخطاياه، لأنه منفصل عن الله الحي مصدر الحياة الأبدية. «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العـالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت 16: 26). فلن يفدي الإنسـان نفسـه بنفسه، وحتى الأخ لن يفدي أخاه من الموت، لأن كل ما يملكه من مال لا يقدر أن يشـتريه ليفكَّـه، ويعجز عن أن يقدم لله كفارة عن نفسه ولا عن أخيه، لأن تكلفة الفدية كبيرة جداً يعجز الإنسان عـن أن يدفعها، حتى لو عمل إلى الدهر في سبيل الحصول عليها! فالإنسان لا يحيا إلى الأبـد بمجهـوده الشخصي، ولا بما عنده من ثروة. والقبر هو النهاية الحتمية للحكماء والجهلاء على السواء، فالجاهل والبليد يهلكان، ويتركان ثروتهما للآخرين.

إذاً كيف يتم الفداء؟ شرَّعت التوراة ذبائح للحصول على الفداء، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عب 9: 22) وافتُدي إسحاق بن إبراهيم بذبح عظيم. وكل هذه الذبائح كانت ترمز للمسيح الفـادي، «افتُديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كـريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (1بط 1: 18-20).

ولندرك هذه الحقيقة الخطيرة، والتي عليها يتعلق مصيرنا الأبدي، دعونا نتخيَّل الملاك الذي أرسله الله إلى بيوت مصر ليلة خروج بني إسرائيل، فيمرُّ هذا الملاك ببيت فرعون ليُهلك ابنه البكر. ولنفترض أن الفرعون العظيم يرى ابنه البكر يموت أمامه، فيريد طبعاً أن يفتديه، فيستدعي الجيش كله ليدافع عن ابنه. لكن غَلقت محاولاته إلى الدهر، أي يتعذَّر عليه الدفاع عن ابنه مدى الحياة، ولا يمكن أن ينقذ أحد ابن الفرعون العظيم الذي يتلوَّى في فراشه. ثم يمرُّ الملاك المهلك نفسه ببيت طفل فقير من أطفال بني إسرائيل، ويرى الدم على عتبة باب البيت العليا وقائمتيه، فيعبر عن البيت، وينجو الابن البكر فيه من الموت، لأن الملاك المهلك يرى فدية كريمة من الدم تنجي ابنه البكر.. لم تكن النجاة ليلة الخروج بالمال ولا بالقوة، بل بالفداء بالذبح العظيم الذي دبَّره الله وأمر به. فما أغبى موقف الإنسان الذي يفتخر بماله، لأنه يظن أنه حصل عليه بذكائه، فيفتخر به معتقداً أنه سيفتح له أبواب الفداء! ولكنه سرعان ما يدرك أن القبر مفتوحٌ له، فقد «وُضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة» (عب 9: 27). ولكن الفداء موجود في الإيمان بالمسيح الذي لنا فيه حياة أبدية (1يو 5: 13) والذي قال: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو 11: 25، 26).

3 - أغبياء في موقفهم من صوت الله: «باطنهم أن بيوتهم إلى الأبد، مساكنهم إلى دور فدور. ينادون بأسمائهم في الأراضي. والإنسان في كرامة لا يبيت يشبه البهائم التي تُباد. هذا طريقهم اعتمادهم، وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم» (آيات 11-13). قال الله إن الإنسان تراب، وإلى تراب يعود، ولكن الأغنياء الأغبياء يعتقدون في باطنهم وقلوبهم وأعماقهم أن بيوتهم ستبقى مكان سكناهم إلى الأبد، وفيها سيُخلَّدون. ظنوا أن الكرامة هي في سكنى القصور، مع أن الكرامة الحقيقية هي في السكن في ستر العلي وفي ظل القدير (مز 91) ولكن سرعان ما تنتهي حياتهم، ويهجرون قصورهم ويصبحون من ساكني القبور، فيبيد ذكرهم وينتهي من الأرض. لقد أعطاهم الله بيوتاً ومساكن وشهرة. وبدل أن يشكروا الله على عطاياه، ظنوا أن هذه العطايا ستحفظ أسماءهم إلى الدهر. فما أحمق الإنسان الفاني! صحيح أن «مُنْتَظر الصديقين مفرح، أما رجاء الأشرار فيبيد» (أم 10: 28) لكن «الصديق يكون إلى لذكرٍ أبدي» (مز 112: 6).

ويقول المرنم إن الغني الغبي لا يبيت في الكرامة، فهي لا تدوم له، شأنها شأن كل متاع الدنيا. والغني الغبي يشبه البهائم التي تُباد، لأن الله أعطاه كرامة وثروة، فلم يستخدمها بالطريقة الصحيحة. أعطاه البركة ليفتح عينيه على معطيها، فلم يحس بفضل الخالق. لقد أوضح المسيح أن كل ما عندنا من مواهب ووزنات هو عطية منه، يجب أن نتصرف فيه بأمانة وحكمة (مت 14: 25-29).

«هذا طريقهم اعتمادهم» فهم يثقون في طريقة تفكيرهم وفي سلامتها، ويعتمدون على ذكائهم، ويرفضون النصائح المقدَّمة لهم، لأنهم يعتقدون أنهم في غير حاجة إليها. «وخلفاؤهم يرتضون بأقوالهم» فضللوا الجيل الآتي. ضللوا أنفسهم أولاً، وضللوا من يتبعونهم أيضاً! وحقَّ عليهم القول: «هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة» (مت 15: 14).

4 - أغبياء في موقفهم من الآخِرة: «مثل الغنم للهاوية يُساقون. الموت يرعاهم، ويسودهم المستقيمون. غداةً وصورتهم تَبلى. الهاوية مسكنٌ لهم، إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية، لأنه يأخذني» (آيتا 14، 15). لم يُحسنوا فهم معنى بركات الله لهم، ولم يدركوا أنها يجب أن تقودهم للتوبة والرجوع إلى الله، فتصرَّفوا كالأغنام الغبية التي لا تعرف إلا كيف تضل. فلا بد أن ينزلوا للهاوية كالأغنام التي تُساق للذبح. ولا بد أن يصبح المستقيمون سادة الموقف، يقولون: «الذي يفدي من الحفرة حياتك. الذي يكللك بالرحمة والرأفة» (مز 103: 4) وما أن تشرق شمس الصباح «غداةً» حتى تبلى صورة الأغنياء الأغبياء، ويصبح القبر والهاوية مسكناً لهم! ويقارن المرنم بين الفدية الفاشلة في قوله: «الأخ لن يفدي الإنسان» (آية 7) والفدية الصحيحة في قوله: «إنما الله يفدي نفسي» (آية 15). فلا فداء للإنسان إلا من عند الله وحده، فهو الذي يفدينا بذبح عظيم. ويقدم المرنم لنا سبيل الفداء في قوله: «لأنه يأخذني» إشارة إلى يوم التوبة، أو إشارة إلى يوم القيامة، إذ يقول المؤمن: «برأيك تهديني، وبعدُ إلى مجد تأخذني» (مز 73: 24). ففي يوم التوبة يأخذ الله النفس من الضلال ويردُّها إليه وإلى سُبل البر، فيفتديها من الموت الأبدي، لأنه «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح» (رو 8: 1). وفي يوم القيامة يأخذ الله النفس من هاوية القبر ويرفعها وينقذها بالقيامة المجيدة. فعند مجيء المسيح ثانية يُضرب بالبوق، فيُقام الأموات عديمي فساد (1كو 15: 52) ويأمر الرب بقيامة المؤمنين الذين ماتوا غرقى وأكلت أسماكُ البحر أجسادَهم، فيعطي البحرُ الأموات الذين فيه (رؤ 20: 13). وفي وقت مجيء المسيح يجمع الرب المؤمنين الأحياء من كل مكان في الأرض ليأخذهم إليه، وهكذا نكون كل حين مع الرب (1تس 4: 13-18).

ثالثاً ـ موقف المؤمن من الأغنياء الأغبياء

(آيات 16-20)

1 - المؤمن لا يخاف من الغني الغبي: «لا تخشَ إذا استغنى إنسانٌ، إذا زاد مجد بيته، لأنه عند موته كله لا يأخذ. لا ينزل وراءه مجده، لأنه في حياته يبارك نفسه. ويحمدونك إذا أحسنت إلى نفسك» (آيات 16-18). كان المرنم قد تساءل: لماذا أخاف؟ (آية 5) فلم يجد لخوفه سبباً، لأن الآثمين الذين يتعقَّبونه لا بد هالكون، فعاد يشجع نفسه، ويشجع الفقراء معه قائلاً: «لا تخشَ» فإن مجد الغني الغبي الذي طالما ظلمك، والذي تعقَّبك وأحاط إثمُه بك لن يستمر يؤذيك، لأن ثراءه لا ينتقل معه إلى الحياة المستقبلة. وصدَق أيوب: «عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً» (أي 1: 21). «كما خرج من بطن أمه عرياناً يرجع ذاهباً كما جاء، ولا يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به في يده» (جا 5: 15) وصدق الرسول بولس: «لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضحٌ أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (1تي 6: 7). وقيل للغني الغبي الذي ظن أنه سيتمتع بثروته لسنين طويلة: «يا غبي، هذه الليلة تُطلَب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟» (لو 12: 20). كم كان الإسكندر الأكبر حكيماً عندما طلب قبل موته أن يُخرجوا جيبه خارج الكفن، ليعلن أن ماله لم يرافقه إلى قبره، وكذلك كان الرئيس حسني مبارك، يوم تولى رئاسة جمهورية مصر، وهو يقول: «ليس للكفن جيوب». أما الغني الغبي فهو «في حياته يبارك نفسه» ويغبِّطها، كما قال الغبي لنفسه: «يا نفسي، لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكُلي واشربي وافرحي» (لو 12: 19) فمات من ليلته!

أما المؤمن فيجلب البركة لنفسه، فيحمده الناس ويطوِّبونه «ويحمدونك إذا أحسنت إلى نفسك». فالمؤمن يبارك حياته ونفسه عندما يتوب ويقبل خلاص المسيح، وعندما يمد يده ليتناول من عشاء الرب، وعندما يشهد بنعمة المسيح لإنسان بعيد عن الرب، وعندما يتابع مؤمناً ضعيفاً ليبني حياته الإيمانية، وعندما يختلي مع الله بانتظام واستمرار في الصلاة فيشبع قلبه بالرب، وهكذا يتبارك قلبه ونفسه. صحيح أن ثروة المؤمن لن تنزل وراءه إلى القبر، شأنه شأن الغني الغبي. ولكن أعمال المؤمن الصالحة تتبعه إلى ما وراء القبر «طوبى للأموات الذين يموتون في الرب.. لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم» (رؤ 14: 13) فيسمع الصوت الإلهي يقول: «نِعِمَّا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل، فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت 25: 21).

2 - المؤمن يعرف مصير الغني الغبي: «تدخل إلى جيل آبائه الذين لا يعاينون النور إلى الأبد. إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تُباد» (آيتا 19، 20). ما أرهب مصير الغني الغبي! فإن نفسه تدخل إلى جيل آبائه الذين سبقوه في الغباء الروحي، والذين ماتوا، والآن يعيشون في عالم الظلام الأبدي، ولن تكون لهم فرصة لرؤية النور. لقد عاشوا في ظلمة روحية هنا، وانتهى بهم الأمر إلى

ظلمة روحية هناك. وسيكون مصير الغني الغبي كمصير سابقيه من الأغنياء الأغبياء. لقد أعطاهم الله العقول ليفهموا أنه مصدر بركتهم، وأنهم ملكه.. منحهم الكرامة ليحيوا فيها، ولكنهم لم يفهموا فصاروا مثل البهائم، لأنهم لم يعرفوا كيف يفرّقون بين الغِنى الصحيح والغِنى الكاذب، ولأنهم اعتبروا الغِنى المؤقَّت أعظم من الغِنى الروحي الذي هو العلاقة بالله، وأفضل من الغِنى الأبدي بالوجود في حضرته في الحياة الأبدية. وكل من يظن أن حياته من أمواله يكون عديم العقل، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت 4: 4).

فما أجمل نصيحة المسيح: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت 6: 19-21).

اَلْمَزْمُورُ الْخَمْسُونَ

مَزْمُورٌ لآسَافَ

1إِلَهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا. 2مِنْ صِهْيَوْنَ كَمَالِ الْجَمَالِ اللهُ أَشْرَقَ. 3يَأْتِي إِلَهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ. نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدّاً. 4يَدْعُو السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُ وَالأَرْضَ إِلَى مُدَايَنَةِ شَعْبِهِ. 5اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ. 6وَتُخْبِرُ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِهِ، لأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّيَّانُ. سِلاَهْ.

7اسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأَتَكَلَّمَ، يَا إِسْرَائِيلُ فَأَشْهَدَ عَلَيْكَ. اللهُ إِلَهُكَ أَنَا. 8لاَ عَلَى ذَبَائِحِكَ أُوبِّخُكَ، فَإِنَّ مُحْرَقَاتِكَ هِيَ دَائِماً قُدَّامِي. 9لاَ آخُذُ مِنْ بَيْتِكَ ثَوْراً، وَلاَ مِنْ حَظَائِرِكَ أَعْتِدَةً. 10لأَنَّ لِي حَيَوَانَ الْوَعْرِ، وَالْبَهَائِمَ عَلَى الْجِبَالِ الأُلُوفِ. 11قَدْ عَلِمْتُ كُلَّ طُيُورِ الْجِبَالِ، وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ عِنْدِي. 12إِنْ جُعْتُ فَلاَ أَقُولُ لَكَ، لأَنَّ لِي الْمَسْكُونَةَ وَمِلأَهَا. 13هَلْ آكُلُ لَحْمَ الثِّيرَانِ، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟ 14اذْبَحْ لِلَّهِ حَمْداً، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ، 15وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي.

16وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ اللهُ: «مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي، وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ؟ 17وَأَنْتَ قَدْ أَبْغَضْتَ التَّأْدِيبَ، وَأَلْقَيْتَ كَلاَمِي خَلْفَكَ. 18إِذَا رَأَيْتَ سَارِقاً وَافَقْتَهُ، وَمَعَ الزُّنَاةِ نَصِيبُكَ. 19أَطْلَقْتَ فَمَكَ بِالشَّرِّ، وَلِسَانُكَ يَخْتَرِعُ غِشّاً. 20تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لابْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً. 21هَذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ.

22افْهَمُوا هَذَا يَا أَيُّهَا النَّاسُونَ اللهَ، لِئَلاَّ أَفْتَرِسَكُمْ وَلاَ مُنْقِذَ. 23ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ».

اسمع يا شعبي فأتكلَّم

هذا مزمور تعليمي مثل مز 49، ولو أن مز 49 يخاطب البشر جميعاً، بينما هذا المزمور يخاطب بني إسرائيل، وفيه يحاكمهم الله مستشهداً عليهم قوى الطبيعة، كما فعل في إشعياء 1 وميخا 6. لقد أعطاهم الشريعة من فوق جبل سيناء ليحفظوها، وها هو يجيء بمجد عظيم يشبه مجد حضوره على جبل سيناء، ليسألهم عن مدى طاعتهم له، وعن أسلوب تلك الطاعة، فقد كانت عبادتهم مظهرية طقسية، لا قلبية روحية. وهو يؤكد لهم أنه يفضّل القلب الحامد على تقديم الذبائح، ويحذِّر المنافقين من سوء مصيرهم إن لم يتوبوا، ويطالبهم بالديانة العملية التي تتَّضح في حبهم له وللقريب، وهو ما سبق أن طالبهم به في الوصايا العشر التي كتبها على لوحي حجر. وليس معنى هذا أن الله يرفض شريعة الذبائح، فإنه «بدون سفك دمٍ لا تحصل مغفرة» (عب 9: 22). ولكن المقصود أن تُقدَّم الذبائح من قلب مخلص نقي.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله يدين شعبه (آيات 1–6)

ثانياً – العبادتان الطقسيَّة والروحية (آيات 7–15)

ثالثاً – الله يوبِّخ المنافقين (آيات 16–23)

أولاً - الله يدين شعبه

(آيات 1-6)

1 - القاضي: «إله الآلهة الرب تكلم، ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. من صهيون كمال الجمال الله أشرق» (آيتا 1، 2). يقدم الله نفسه باعتباره رب الأرباب، وقاضي القضاة، الإله العادل القدوس، كامل الجمال الذي يشرق بشخصه وتعليمه على شعبه من عاصمة مملكته، فمن صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب (إش 2: 3) ، وفي هيكلها تُقدَّم ذبائح الكفارة والسلامة. ويستدعي هذا القاضي شعبه ليمثُل أمامه ليقدِّم كل واحد منهم حساباً عما فعل. لقد سكت عن

عقابهم فظنوه غير موجود، أو غير عابئ بشرورهم (آية21 من مزمورنا). إلا أنه إلـــه الآلهـــة التـــي صنعها الناس، لأنه هو الذي صنع المواد التي صُنعت منها تلك الأوثان (ذهباً أو حجارة). وهو «إلـــه الآلهة» أي رب القضاة، لأن من سلطة القاضي أن يصدر حكماً بالبراءة أو الإدانة. بهذا المعنى قال الله للقضاة إنهم آلهة (مز 82: 1–4). فنحن إذاً أمام قاضي القضاة، إله الآلهة، الرب الـــذي يـــدعو كـــل الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها لتشهد المحاكمة التي يحاكم بها شعبه، ويقول: «احكمـــوا بينـــي وبين كرمي» (إش 5: 3) «لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح.. فإذاً كل واحدٍ منّا سيعطي عن نفسه حساباً لله» (رو 14: 10، 12). بهذا سيفرح المؤمنون لأنه «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بـــل حســـب الـــروح» (رو 8: 1). أمـــا الأشـــرار فسيفزعون لأنه «أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجلٍ (المسيح) قد عيَّنـــه. مقـــدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات» (أع 17: 31).

2 - عظمة المحاكمة: «يأتي إلهنا ولا يصمت. نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً» (آية 3). ترمـــز النار إلى عدالة الله التي تحرق أعداءه وتبيدهم. ويرمز العاصف إلى قوته التي تبـــددهم كالعصـــافة. «حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابٍ بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريـــه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء» (مر 13: 26، 27). «إلهنا نار آكلة.. ركب على كروب وطار، وهفَّ على أجنحة الرياح.. من الشعاع قدامه عبرت سحبه: بَرَدٌ وجمر نار» (عب 12: 29 ومز 18: 10، 12). «إذ هو عادلٌ عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الـــذين تتضايقون راحةً معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في نار لهيب، معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله، والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيُعاقَبون بهلاك أبـــدي مـــن وجه الرب ومن مجد قوته» (2تس 1: 6–9).

3 - شهود المحاكمة: «يدعو السماوات من فوق، والأرض، إلى مُداينة شعبه» (آية 4). لقد شـــهدت السماء والأرض عظمة معجزات عنايته بشعبه، فقد شقَّ لهم البحر الأحمر، وأمر عمـــود الســـحاب أن يظللهم من الشمس المحرقة. وها هو يدعوهما لتشهدا محاكمته العادلة لشعبه، ويقول: «اسمعي خصومة الرب أيتها الجبال، ويا أسس الأرض الدائمة، فإن للرب خصومة مع شعبه وهو يحاكم إسرائيل» (مـــي 6: 2).

4 - المدانون: «اجمعوا إليَّ أتقيائي القاطعين عهدي على ذبيحة. وتُخبِر السماوات بعدله لأن الله هو الديّان» (آيتا 5 و6). يأمر الله ملائكته أن يجمعوا «أتقياءه» (مت 24: 31) وقد أطلق عليهم هذا اللقـــب لأنهم خاصته، ولو أن سلوكهم لم يكن مطابقاً للقبهم.

لقد دعا الرسول بولس أهل كورنثوس «قديسين» لأن هذا مقامهم في المسيح، مع أن القداسة لم تكن واقع حالهم، فوبَّخ أخطاءهم ودعاهم لحياة التوبة والقداسة. ويبدأ الرب المحاكمة دوماً من أهل بيته المتعبّدين له، لأنه ينتظر منهم أن يكونوا أكثر الناس إدراكاً للعبادة الروحية، فقد قطعوا العهد معه على ذبيحة وتعَّهدوا أن يطيعوه «وأرسل (موسى) فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب.. فأخذ موسى نصف الدم.. ورشَّه على المذبح، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب» (خر 24: 3-8). وقال لشعبه: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب.. مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر 19: 5، 6). ولقد أدخلنا المسيح في عهد جديد بدمه (مت 26: 28)، هو ضامنه. وما دامت لنا امتيازات العهد فعلينا أيضاً مسؤولياته، وستشهد السماء للعدالة الإلهية «أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده» (مز 97: 6).

ثانياً ـ العبادتان الطقسيَّة والروحية

(آيات 7-15)

1 - الله يعاتب شعبه: «اسمع يا شعبي فأتكل، يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا» (آية 7). يعاتب الله شعبه لأنه صاحب الشريعة وصاحب العهد، ومع ذلك عصوه. ومع أنه أدخلهم في عهد معه فصاروا منتمين إليه، ومع أنهم قطعوا معه عهداً على ذبيحة، إلا أنهم خانوا العهد، فعاتبهم.

2 - موضوع العتاب: (آيات 8-13).

يعاتب الرب شعبه لأن عبادتهم كانت طقسية خالية من الروح. وهو لا يعاتبهم لأنهم قصَّروا في تقديم الذبائح له، فقد قاموا بواجباتهم الطقسية كاملة.. طالبهم بتقديم خروفين يومياً، واحداً في الصباح وآخر في المساء (عد 28: 3، 4) ، ففعلوا. ولم يطالبهم بذلك لأنه محتاجٌ إلى الذبائح، بل إلى القلوب التي تنشغل به، وتتعبَّد له حباً وطواعية. إنه يملك ألوف الحيوانات على ألوف الجبال، ويملك ألوف الطيور التي تملأ الفضاء، لأنه خالقها، ويعرف عددها. فليست الذبائح في ذاتها هي المهمة، بل القلوب المُحبَّة هي التي تعنيه. لقد عاتبهم على فم النبي إرميا قائلاً: «لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم، يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر قائلاً: اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً، وسيروا في كل الطريق الذي أوصيكم به» (إر 7: 22، 23). وقد تساءل النبي ميخا: «بِمَ أتقدَّم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟.. هل يُسرُّ الرب بألوف الكباش..؟» فيجيب الرب: «تصنع الحق وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مي 6: 6-8). إنه يطلب

القلب المحب الذي يقدم الذبيحة، مثل قلب داود الذي قال: «مبارك أنت أيها الرب.. لأن لك كل ما في السماء والأرض.. وأنت تتسلَّط على الجميع.. ولكن من أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب هكذا! لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك» (1أخ 29: 10-14).

3 - ضرورة العبادة الروحية: (آيتا 14، 15) يوضح الله أن العبادة الروحية تتطلب ثلاثة أشياء:

(أ) أن نحمده: «اذبح لله حمداً» (آية 14أ). «فلنقدِّم به في كل حينٍ لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاهٍ معترفة باسمه» (عب 13: 15). «فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو» (مز 116: 17).

(ب) أن نوفي النذر: «أوفِ العلي نذورك» (آية 14ب). «أوفي نذوري للرب مقابل شعبه» (مز 116: 18). «أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأوفي بما نذرته. للرب الخلاص» (يون 2: 9). وكانت في العهد القديم ثلاثة أنواع من النذور:

* نذر النفس: فيمتنع عن أشياء محلَّلة لغيره من المؤمنين لأنه «انفرز.. لينتذر للرب» (عد 6: 2-21).

* نذر الابن: «إذا أفرز إنسانٌ نذراً.. لذكرٍ.. لأنثى» (لا 27: 1-8) كما نذرت حنة ابنها البكر الذي سيعطيه الرب لها، وقالت: «يا ربَّ الجنود، إذا نظرتَ نظراً إلى مذلة أَمَتك وذكرتني ولم تنسَ أمتَك، بل أعطيت أمتك زرع بشرٍ، فإني أعطيه للرب كل أيام حياته» (1صم 1: 11).

* نذر حيوان: «وإذا كان (النذر) بهيمة مما يقربونه قرباناً للرب، فكلُّ ما يعطي منه للرب يكون قدساً. لا يغيّره ولا يبدّله» (لا 27: 9-13، 27-29).

(ج) أن نصلي: «ادعُني في يوم الضيق، أُنقذك فتمجدني» (آية 15). «اسألوا تعطوا».. ثم «اطلبوا تجدوا».. ثم «اقرعوا يُفتَح لكم» (مت 7: 7). هذه ثلاث درجات للصلاة. «ادعُني في يوم الضيق» هذا تشجيع إلهي لنا. «أنقذك» فستجيء الاستجابة. «فتمجدني». حياة المؤمن تسير في دائرة متكاملة. نذبح للعلي حمداً، ونوفيه نذورنا، وندعوه في يوم الضيق فينقذنا.. فنعود نذبح للعلي حمداً من جديد! «لك قال قلبي: قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يا رب أطلب» (مز 27: 8).

ثالثاً - الله يوبِّخ المنافقين

(آيات 16-23)

1 - توبيخ النفاق: (آيات 16-21).

في الآيات السابقة (7–15) وبَّخ الله صاحب الديانة الطقسية، وطالبه أن تكون عبادته بالروح والحق. ثم أخذ في آيات 16–21 يوبِّخ المنافق الذي يعلن بفمه الولاء لله، ولكن قلبه بعيدٌ عنه، فهو يكسر وصايا اللوح الأول من الوصايا العشر التي تتحدَّث عن واجبات الإنسان من نحو الله، ووصايا اللوح الثاني، التي تتعلق بواجباته من نحو البشر.

(أ) كسر وصايا اللوح الأول: «وللشرير قال الله: ما لك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك، وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك؟» (آيتا 16، 17). عندما سمع الشعب المكتوبَ في «كتاب العهد» قالوا: «كل ما تكلم به الرب نفعل، ونسمع له» (خر 24: 7). ولكنهم لم ينفذوا ما وعدوا به، فقال الله: «هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه، وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني» (إش 29: 13. راجع مر 7: 6).

(ب) كسر وصايا اللوح الثاني: (آيات 18–20).

* سرقوا: «إذا رأيت سارقاً وافقته» (آية 18أ). فكسروا الوصية الثامنة (خر 20: 15).

* زنوا: «ومع الزناة نصيبك» (آية 18ب). فكسروا الوصية السابعة (خر 20: 14).

* شهدوا زوراً: «أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشاً. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع معثرةً» (آيتا 19، 20). فكسروا الوصية التاسعة (خر 20: 16).

2 - عواقب النفاق: «هذه صنعتَ، وسكتُّ. ظننتَ أني مثلك. أوبِّخك وأصفُّ خطاياك أمام عينيك» (آية 21). أطال الله أناته على المنافق، ولم يسرع بعقابه ليعطيه فرصة ليتوب، فظنَّ المنافق أن الله ينسى، أو لا يبالي. ولعله شارك القائلين: «إن الرب لا يُحسِن ولا يسيء» (صف 1: 12). ويقدم الإنجيل نصيحة لهذا المنافق: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالمٍ أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة، الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله» (رو 2: 4–6).

3 - علاج الطقسيَّة وعلاج النفاق: (آيتا 22، 23).

في هاتين الآيتين يخاطب الله أصحاب الديانة الروتينية الخالية من الروح، كما يخاطب المنافقين، مقدِّماً لهم علاج خطيتهم:

(أ) ذِكر الله: «افهموا هذا أيها الناسون الله لئلا أفترسكم ولا منقذ» (آية 22). نسيان الله هو أساس الخطايا، وعاقبته وخيمة، لأن الإنسان يتصرَّف وكأن الله غير موجود! فإن لم يذكروا الله في كل ما يفعلون فإنه يفترسهم كأسد، ولا منقذ لهم.

(ب) شُكر الله: «ذابح الحمد يمجدني والمقوِّم طريقه أُريه خلاص الله» (آية 23). تنتج العبادة الروحية دائماً الخلاص من الخطية ومن كل ضيق، من الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل أيضاً.

يعلِّمنا هذا المزمور أن الله لا يهتم بكمية العطايا التي نعطيها، ولكن بحالة قلب المعطي. وهو لا يهتم بجمال صوت المرنمين، لكن بمقدار الحب الموجود في قلوبهم. ولا تعنيه مظاهر العبادة الخارجية، لكن حالة القلب الداخلية. «الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو 4: 24). «ذابح الحمد يمجِّدني، والمقوِّم طريقه أريه خلاص الله» (مز 50: 23).

اَلْمَزْمُورُ الْحَادِي وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاثَانُ النَّبِيُّ بَعْدَ مَا دَخَلَ إِلَى بَثْشَبَعَ

1ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ، حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. 2اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي، وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي. 3لأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيَّ، وَخَطِيَّتِي أَمَامِي دَائِماً. 4إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ، لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ. 5هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي.

6هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً. 7طَهِّرْنِي بِالزُّوفَا فَأَطْهُرَ. اغْسِلْنِي فَأَبْيَضَّ أَكْثَرَ مِنَ الثَّلْجِ. 8أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفَرَحاً، فَتَبْتَهِجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا. 9اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ، وَامْحُ كُلَّ آثَامِي.

10قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ، وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. 11لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي. 12رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ، وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي. 13فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ.

14نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللهُ إِلَهَ خَلاَصِي، فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ. 15يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ، فَيُخْبِرَ فَمِي بِتَسْبِيحِكَ. 16لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ، وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. 17ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ.

18أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ. 19حِينَئِذٍ تُسَرُّ بِذَبَائِحِ الْبِرِّ مُحْرَقَةٍ وَتَقْدِمَةٍ تَامَّةٍ. حِينَئِذٍ يُصْعِدُونَ عَلَى مَذْبَحِكَ عُجُولاً.

إليك وحدك أخطأتُ

هذا واحد من مزامير التوبة السبعة (هي 6، 32، 38، 51، 102، 130، 143). كتبه داود اعترافاً بخطية مؤلمة، انتزع فيها لنفسه نعجة الرجل الفقير، ونام فيها ضميره حتى أيقظه ناثان النبي، فاكتشف خطأه واعترف به، وقال: «قد أخطأتُ إلى الرب». فقال له ناثان: «الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت» (2صم 12: 13). وقيل عن داود: «عمل ما هو مستقيم في عيني الرب، ولم يحِدْ عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته، إلا في قضية أوريا الحثي» (1مل 15: 5).

وكثيراً ما يسأل الإنسان نفسه: لماذا سجَّل لنا الوحي أخطاء المؤمنين المتقدمين في الإيمان؟ ولماذا يبدأ هذا المزمور بذكر السبب السيئ الذي دعا لكتابته؟ أما كان يجب أن نخفي أخبار هذه الخطية؟ (القصة في 2صم 11). فتأتينا الإجابة:

1 – سجّل لنا الوحي هذه الخطايا ليعلّمنا أننا جميعاً خطاة. «كلنا كغنم ضللنا. مِلنا كل واحد إلى طريقه» (إش 53: 6). وأن مخلّصنا الوحيد هو المسيح، الذي زار أرضنا مدة ثلاث وثلاثين سنة، لم يخطئ أبداً، ولذلك فهو الواحد الوحيد الذي يمكن أن يكون شفيعنا وغافر خطايانا، لأنه هو ذاته في غير حاجة إلى شفيع. عنه قال الإنجيل: «ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع 4: 12). هو الذي قدَّم نفسه عنا فديةً وكفارةً فوجد لنا فداءً أبدياً (عب 7: 25–28).

2 – يريد الله أن يشجعنا، فلا توجد خطية أكبر من أن تُغفر بفضل كفارة المسيح. فإن كانت خطايانا كالقرمز تبيضُّ كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف (إش 1: 18). والله أمينٌ لحبه وعادلٌ لقضائه، لذلك استوفى أجرة الخطية في كفارة المسيح. فإن اعترفنا له بخطايانا، واحتمينا في فدائه، يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم (1يو 1: 9). فلنأت إلى مخلصنا الذي قال: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (متى 9: 12، 13).

هذا هو الإنجيل: الخبر المفرح! إن الله في محبته جاء إلينا ونحن في هوَّة خطايانا، ومدَّ لنا يد الحب. «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسبٍ لهم خطاياهم» (2كو 5: 19). لم يقل إن الله يتصالح معنا، لأن الله لم يكن أبداً في خصام معنا، فالله هو الحب الغافر دائماً. لكن نحن احتجنا إلى المصالحة لأننا أخطأنا وعوّجنا المستقيم، فجاءنا في حبه الأزلي الكامل ليقدم لنا المغفرة. ومزمورنا ترتيلة نرتلها كلنا مهما أخطأنا وابتعدنا، واثقين أن الله المحب يقبل التائبين.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – طلب التطهير من العمل الشرير (آيات 1–4)

ثانياً – طلب التطهير من الطبيعة الشريرة (آيات 5–8)

ثالثاً – عودة لطلب الغفران والتجديد (آيات 9–12)

رابعاً – عهود المرنم بعد الغفران (آيات 13–19)

أولاً ـ طلب التطهير من العمل الشرير

(آيات 1-4)

يطلب المرنم من الرب أن يغفر له وأن يطهره، لأنه معترفٌ بخطيته، تائب عنها، وهو يحتمي في رحمة الله وحدها، لأن «من يكتم خطاياه لا ينجح، ومن يُقرُّ بها ويتركها يُرحَم» (أم 28: 13)

في هذه الآيات الأربع نجد وصفاً للشر، ثم نجد علاجه:

1 ـ وصف الشر:

(أ) إنه معصية: «امحُ معاصيَّ» (آية 1) «لأني عارفٌ بمعاصيَّ» (آية 3). والمعصية في اللغة العبرية هي ثورة ضد الله. والعاصي هو الذي يحسب وصايا الله ظالمة، فيرتكب ما تمنعه عنه. المعصية تقول لله: أنا غير راضٍ عما وضعتَه لي من قوانين. أنا ثائرٌ ضدك!.. كانت معصية آدم أنه أكل من الشجرة المنهيِّ عنها، وجاء من نسله من يقول لله: «ابعُد عنا. بمعرفة طرقك لا نُسرّ» (أي 21: 14 و22: 17).

(ب) إنه إثم: «اغسلني كثيراً من إثمي» (آية 2) «هأنذا بالإثم صُوِّرت» (آية 5). والإثم هو العَوَج، والأعوج هو الأثيم. ونلاحظ العوَج في حالة داود، فقد خرج الجيش ليحارب بينما بقي القائد الأعلى للجيش في قصره! وعندما كان شعبه يجاهد كان هو على سطح بيته يجيل بصره في ما حوله. واشتهى ما رأى، وحاول أن يموّه، واستدعى زوج السيدة ثم أمر بقتله. واستخدم سلطانه الملكي ليحاول تغطية خطيته.

(ج) إنه خطية: «من خطيتي طهِّرني» (آية 2) «إليك وحدك أخطأت» (آية 4) «بالخطية حبلت بي أمي» (آية 5). الخطية هي أن يخطئ الإنسان الهدف فلا يصيبه. لكل منا هدف أوجدنا الله في العالم لنحقِّقه. وعندما نخطئ تحقيقه نكون قد ارتكبنا الخطية. وقد يكون سبب ذلك أننا قصيرو النظر، فلا ننظر إلى بعيد. لم يفكر داود في آثار الخطأ الذي سيرتكبه على نفسه كنبي وقائد وملك، وعلى شعبه الذي سيُصدَم في بطله، وعلى الأجيال القادمة. لقد استولت اللحظة الآنيّة على مشاعره، فلم يعد يرى ما هو أبعد مما تحت رجليه. والإنسان يخطئ الهدف أيضاً بسبب سوء التقدير، وما أكثر ما نسيء تقدير مقامنا في المسيح بعد أن أنعم علينا بالتبني فلا نقوم بما ينتظره منا (1يو 3: 1). ونسيء تقدير كرامة الإنسان الآخر الذي يجب أن نحبه كنفوسنا (مر 12: 31).

(د) إنه عمل الشر: «الشرَّ قدام عينيك صنعتُ» (آية 4). والشر هو عبور الحدود التي رسمها الله وأمرنا ألا نتعداها. وعندما نتخطاها نرتكب الشر. من المؤسف أن الجانب الآخر من السور يبدو

أكثر خُضرة، والإنسان دائماً يشتهي ما ليس له، فإن «المياه المسروقة حلــوة، وخبــز الخفيــة لذيــذ» (أم 9: 17). فالخطية هي التعدي (1يو 3: 4).

2 - علاج الشر: لعلاج الشر جانبان، جانب إنساني وجانب إلهي:

(أ) الجانب الإنساني: كم نحترم داود لأنه كتب هذا المزمور وكان فيه صادقاً مع نفســه ومــع الله:

(1) اعترف بخطيتـه: «لأني عارفٌ بمعاصيَّ، وخطيتي أمامي دائماً» (آيــة 3). اعتــرف أن الخطية خطيته هو. لم يلقِ باللوم في ما ارتكب على الآخرين، ولكنه لوّم نفسه قبل كل شيء وقبل كــل شخص. والإنسان الذي يريد أن يعترف للرب لا يجب أن يجيء بأعذار، بل يأتي معترفاً بخطيته فــي صدق حقيقي.

(2) اعترف أنه أخطأ ضد الله: «إليك وحدك أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت» (آيــة 4). اعترف بعظمة الجُرم لأنه عصى وصية الله، ولم يحاول أن يُنقِص بشاعة ما فعل. ومــن قبلــه قــال يوسف الصدّيق، وهو يرفض خطية كالتي وقع فيها داود: «كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلــى الله!» (تك 39: 9). ولا ينكر داود بهذا أنه أخطأ ضد السيدة بثشبع، وضد أوريا زوجها، وضد يــوآب قائد الجيش الذي أمره أن يقتل أوريا. ولكنه اعتبر خطيته أولاً وقبل كل شيء ضد الله، لأن الذي يحب الله يحب أخاه أيضاً. ثم أنه كملكٍ اعتبر نفسه وكيلاً عن الله ليحكم بالعدل والشريعة. وعندما تعــداهما اعتبر نفسه وكيلاً خائناً.

(3) واعترف بعدالـة الله: «لكي تتبرر في أقوالك وتزكو في قضائك» (آية 4). إن أية عقوبــة يوقِّعها الله عليه هي عدالة إلهية يستحقها، ويقبلها بغير مناقشة ولا تذمر، فلا مجال للخطأ فــي إعــلان قضاء الله على الخاطئ، ولا في تنفيذ ذلك القضاء، كما قال اللص المصلوب التائب: «أما نحن فبعــدلٍ (نُعاقَب) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا» (لو 23: 41). وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآية (عن الترجمة السبعينية) «لكي تتبرر في كلامك، وتغلب متى حوكمت» (رو 3: 4).

(ب) الجانب الإلهي:

(1) رحمـة الله: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك» (آية 1). فالغفران يتوقَّــف على الرحمة وحدها، بدون أي فضل للإنسان. الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة. مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه (مز 103: 8، 11). «الله الذي هو غني فــي الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحياناً مع المسيح.. لأنكم بالنعمة

مخلّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحـــد» (أف 2: 4، 5، 8، 9).

(2) ما يعمله الله:

(أ) يمحو المعصية: «امْحُ معاصيَّ» (آية 1). تُكتب الخطية في سفر الرب، ويطلب المعتـــرف مَحْوها حتى لا تعود توجد، ليتحقَّق وعدُ الله أن كل خطية نعترف بها لا يعود يذكرها فيمـــا بعـــد، لأن المسيح يسدِّد عن الخاطئ المعترف التائب ديون خطاياه، ولا يمكن أن عدالة الله تستوفي الدَّين مرتين. «إذ كنتم أمواتاً في الخطايا.. أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا.. الذي كان ضداً لنا» (كو 2: 13، 14). «يرحمنا. يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميـــع خطايـــاهم» (مي 7: 19). فلا يحاسبنا عليها. ينسى خطايانا فلا توجد أمام عينيه، ويقول لنا: «أنا أنا هـــو المـــاحي ذنوبك لأجل نفسي. وخطاياك لا أذكرها.. قد محوتُ كغيمٍ ذنوبك، وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأنـــي فديتك» (إش 43: 25 و44: 22). وعندما يتم هذا الرجوع بالتوبة إلى الله يقول التائب مع الملك حزقيا: «طرحتَ وراء ظهرك كل خطاياي» (إش 38: 17).

(ب) يغسل القلب: «اغسلني كثيراً من إثمي» (آية 2) بمعنى: انفُض عني كل خطإٍ، وأخرِج من داخلي كل ما علق بي من أقذار وشهوات، وما تخلل نسيج حياتي من شرور. وقـــد اســـتوحى المـــرنم فكرته من طريقة تنظيف الثياب بخَبْطها على حجر إلى جوار ماء جارٍ. وهو يطالب الرب بغسل أقذار الخطية عنه مهما كان هذا مؤلماً له، فإن آلام التطهير أقل من آلام الأقذار، و«الذي يحبه الرب يؤدِّبه، ويجلد كل ابن يقبله» (عب 12: 6).

(ج) يطهّر: «من خطيتي طهِّرني» (آية 2). وهو تعبير مستعار من شريعة تطهير الأبرص، الذي إذا اقترب منه سليم يجب أن يصرخ: «نجس! نجس!» حتى لا يُصاب السليم بالعدوى. وعندما يكرم الله أبرصاً بالشفاء كان يأخذ من الكاهن شهادة تطهير ليقدر أن يعود إلى مجتمع الأصحّاء (لا 13). وقـــد شعر المرنم أنه نجسٌ كالأبرص، يحتاج إلى شفاء، وإلى إعلان ذلك الشفاء.

ثانياً ـ طلب التطهير من الطبيعة الشريرة

(آيات 5-8)

1 ـ الطبيعة الإنسانية الشريرة: «هأنذا بالإثم صُوِّرت، وبالخطية حبلت بي أمـــي» (آيـــة 5). عنـــدما ارتكب داود خطيته حاول أن يخفيها، ولما كشفها الله له أدرك شناعتها، واعترف بها وتاب عنها، وقبِل

الله توبته. وفتح هذا الإدراك عينيه إلى أن خطأه لم يكن مجرد نزوة عابرة، لكنه الفساد الذي وُلد بـــه، والكامن في طبيعته.

ولا يقصد داود أن يوجّه لوالدته أية تهمة أخلاقية، وهو القائل إنها «أَمَة الله» (مز 86: 16 و116: 16). ولا يمكن أن يكون قد رأى شراً في عملية التناسل التي خلقها الله في الإنسان وأمر أن «أثمـــروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك 1: 28) ما دام هذا يتم بالطريق الصحيح، الذي يقول فيه: «ليكن الزواج مكرّماً عند كل واحد، والمضجع غير نجس» (عب 13: 4). ولكنه يرى ميوله المناقضة لمشـــيئة الله، كما قال إشعياء النبي: «ويلٌ لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكنٌ بين شـــعبٍ نجـــس الشفتين» (إش 6: 5). وكما قال الرسول بولس: «فإني أعلم أنه ليس ساكناً فيَّ، أي في جسدي، شـــيء صالح.. لأني لستُ أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل!» (رو 7: 18، 19).

2 ـ علاج الطبيعة الإنسانية الشريرة: (آيات 6-8).

(أ) الحكمة السماوية: «ها قد سُررتَ بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرِّفني حكمة» (آية 6). لم تكن هناك حكمة في كل ما فعله داود ببتشبع، فالخطية جهالة، وهي لا تستحق الثمن المدفوع فيهـــا. ولكن «مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي 28: 28). لقد ظل داود يؤدي كل فروض العبادة الشكلية، بغير علاقة سليمة مع الله، دون أن يدري حجم مأساته، وهذه جهالـــة. كانـــت هناك هوّة واسعة بين ما يُرضي الله وما ارتكبه، وهذه أيضاً جهالة منه. أما مسرَّة الله فهي بأمانة نيّـــة الإنسان وصدق مشاعره اللذين يظهران في الإخلاص الكامل إنسان القلـــب الخفـــي (1بـــط 3: 4) ، والعبادة الحقيقية، وليس في مجرد أداء فروض العبادة الشكلية. ولا يحصل الإنسان عليهما إلا بالحكمة «التي من فوق، فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة، مترفّقة، مذعنة، مملوّة رحمة وأثماراً» (يع 3: 17). فإن كان أحدنا تعوزه حكمة «فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر، فسيُعطى له» (يع 1: 5). و«بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فَهمٌ» (أم 9: 10).

في كل مرة نتصرف تصرفاً سيئاً، أو نجرح مشاعر إنسان بكلمة قاسية، أو نؤذي أنفسنا بما نرتكبه من خطأ، نحتاج أن ندعو الله ليعرِّفنا حكمة في سريرة (أعماق) نفوسنا لنُصلح الخطأ، ولا نعود إليه.

(ب) الطهارة: «طهِّرني بالزوفا فأطهُر. إغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج» (آية 7). والزوفا نبـــات عشبي عطري الرائحة، ينمو على الحوائط، وكان يُستخدم في حُزم صغيرة، ويُستعمل للتطهيـــر مـــن البرص (لا 14: 4، 6) ومن الأوبئة (لا 14: 49، 51) وللطهارة الطقسية (عـــد 19: 6، 18). كمـــا كانوا يرشّون به الدم (خر 12: 22 وعب 9: 19). وكانوا يغسلون الثياب دلالة على التطهير. ويقصد المرنم أن يطهره الله من الداخل بعمل النعمة، لا بيد كاهنٍ وطقوس. وكانت كل هذه الأعمال التطهيرية

التي ذكرتها التوراة ترمز إلى التطهير بدم المسيح «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو 1: 29). ويقول المسيح عن الأتقياء الذين رفع خطيتهم: «لم ينجّسوا ثيابهم، فسيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقّون» (رؤ 3: 4).

(ج) الاستماع لصوت الرب: «أسمِعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظامٌ سحقتها» (آية 8). وكلمات السرور والفرح هي كلمات الله التي تؤكد الحب والقبول والغفران، وعندها تبتهج العظام المنسحقة تحت تأنيب الضمير. وكم نفرح ونحن نسمع المسيح يقول: «من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو 6: 37). «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 11: 28). «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب 4: 16).

ثالثاً ـ عودة لطلب الغفران والتجديد

(آيات 9-12)

في هذه الآيات يعود المرنم لطلب الغفران والتجديد. ويطلب من الله أربعة أمور:

1 ـ الستر: «استُر وجهك عن خطاياي، وامحُ كل آثامي» (آية 9). والستر والمحو هما نتيجة للكفارة والفداء. وكأن المرنم يقول: «ضع دمك عليَّ لتكفّر عني». وكلمة «كفارة» في اللغة العبرية هي «كافار» التي أُخذت منها الكلمة الإنجليزية cover وتعني الستر والتغطية.

ومهما بلغت درجة طهارة المؤمن الذي منحه الله الغفران، سيظل محتاجاً إلى المزيد من الغفران، كما قال المسيح لبطرس: «الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله» (يو 13: 10). فالذي يطهِّره المسيح بكفارته هو طاهر، وصاحب موقف سليم أمام الله، ولكنه يحتاج إلى غسلٍ يومي جديد، ويحتاج أن يستر الله وجهه عن خطاياه وآثامه المتناثرة على ثوبه الأبيض. هناك خطايا وضعفات شخصية تُثقل كاهل الإنسان منا، وهناك خطايا اجتماعية تحيط بنا بسهولة. ونحتاج أن نتخلَّص منها كلها (عب 12: 1). ونشكر الله أنه دبّر لنا الخلاص والإنقاذ، فإنه «إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 8: 36).

2 ـ القلب النقي: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي» (آية 10). لا يكتفي المرنم بالغفران والتطهير، فيطلب من قوة الله الخالقة أن تمنحه قلباً جديداً نقياً، وأن تجدد في داخله روحاً مستقيماً، بحسب وعده: «أعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم» (حز 36: 26، 27). وهذا ما قاله المسيح

لنيقوديموس: «ينبغي أن تولدوا من فوق» (يو 3: 7). وهو ما وُصف بالقول: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (2كو 5: 17).

لما يعطينا الله حكمة في «السريرة»، وهي أعماق النفس (آية 6) نفهم كلمة الله فنقول: «خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز 119: 11) ونصبح مستعدين لأن يكون فينا القلب النقي المغتسّل بكفارة دم المسيح، وبعمل الروح القدس، فندرك مع داود أن خطية واحدة نرتكبها تؤدي بنا إلى ارتكاب مزيد من الخطايا لنستر خطيتنا الأولى، لأن الخطية سلسلة متصلة من العوَج والإثم. ولكن عندما يخلق الله فينا القلب النقي والروح المستقيم، نسلك باستقامة بحسب قلبه.

3 - طلب استمرار عمل الروح القدس فيه: «لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني» (آية 11). الطرح من أمام وجه الرب هو النفي من الأرض المقدسة، ومن جماعة الرب، ومن عهده، ومن رِضاه. ويالها من عقوبة قاتلة، تجعل الإنسان ضمن الوثنيين الغرباء عن عهود الموعد، الذين لا رجاء لهم، وبلا إله في العالم (أف 2: 12). ويطلب داود أن يقيه الله هذا المصير السيئ، ليستمر ضمن جماعة الرب.

ويطلب المرنم أن يستمر الروح القدس عاملاً فيه، يبكته على خطاياه، ويجدد حياته الروحية، ويطهره ويقدسه. وكان روح الله قد فارق شاول الملك العاصي فهلك منتحراً، وكان قد حلّ على داود (1صم 16: 13، 14). فخشي داود أن يفارقه روح الرب لأنه أحزنه ولم يطِع توجيهاته، فيكون مصيره مثل مصير سابقه شاول، فطلب من الله ألا ينزع منه ذلك الروح المقدِّس.

وقد أعطى الرب المؤمنين بالمسيح مسحة الروح القدس ابتداءً من يوم الخمسين (أع 2: 4 و1يو 2: 27). وعلى المؤمنين أن يحترسوا من أن يطفئوا عمل الروح فيهم (1تس 5: 19). فلنمثُل في حضرته السماوية ليكون ماثلاً أمام عيوننا باستمرار، يبكتنا روحه القدوس على خطايانا ويعلمنا طريقه والمسحة التي أخذناها منه هي تعلمنا كل شيء، وتذكّرنا بكل ما قاله المسيح لنا (1يو 2: 20).

4 - فرح الخلاص: «رُدّ لي بهجة خلاصك، وبروحٍ منتدبة اعضُدني» (آية 12). يطلب المرنم بهجة الخلاص التي ضاعت منه، ويطلب روحاً منتدبة تعطي الآخرين طوعاً وبسخاء، بغير إلزام من أحد. وواضح من طلب «رد بهجة الخلاص» أن المرنم لم يفقد خلاصه لما أخطأ، لكنه فقد فقط «بهجة خلاصه» فلم يُعد بعد قادراً أن يختبر أن الرب نوره وخلاصه، ولا أن يخاطبه بدالة البنين: «أحبك يا رب يا قوتي.. قرن خلاصي وملجإي» (مز 18: 1). صحيحٌ أن انتماءه للرب باقٍ وسيظل، لأن الله سبق وأنعم عليه بالتبني، وهو الذي اختاره (يو 15: 16). ولكن استمتاعه بالرب هو الذي ضاع منه بسبب الخطية التي فصلته عن متعة التواجد في حضرة الرب. «آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين

إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم» (إش 59: 2). وعندما يردّ الرب لنا بهجة خلاصنا تكون لنا شركة دائمة ومستمرة معه، لا يعطلها شيء، فنسمع بركته: «نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم» (2كو 13: 14)، وننال قوته «لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح 8: 10).

وعندما يعطينا الرب الروح المنتدِبة نتبرَّع بسخاء، لأن المعطي المسرور يحبه الله (2كو 9: 7)، فلا نأخذ ما لا يحق لنا، بل نعطي مما أعطانا الله. أخذ داود نعجة جاره الفقير، وهو هنا يطلب أن يتغيّر إلى منتدب معطاء، يتحقق فيه الوصف: «لا يسرق السارق فيما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي من له احتياج» (أف 4: 28).

رابعاً ـ عهود المرنم بعد الغفران

(آيات 13-19)

بعد أن شعر داود بخطيته طلب من الله أن يرحمه ويطهره من عمله الشرير ومن طبيعته الشريرة. ثم عاد يكرر الطلب ليحصل على الغفران والتجديد. وبعد أن اطمأن لاستجابة دعائه، أخذ يفكر في ردّ شيء بسيط من ديونه لله، لا بالكلام فقط، بل بالعمل أيضاً، فتعهد لله بأربعة أمور:

1 ـ تعهدّ بالكرازة: «فأعلّم الأثمةَ طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (آية 13). بعد أن شفاه الله من لوثة الخطية، أراد أن ينقذ الملوثين. لقد شاعت أخبار خطية داود في الجيش وفي كل البلاد. فهل يقدر بعد ذلك أن يعلّم الأثمةَ طريق الله فيَرجع الخطاة؟ نعم، لأن هذا واجبه وامتيازه. عندما نخطئ نختبر ضعفنا الإنساني، وندرك الحب الإلهي الذي يصفح ويغفر، فنصبح أكثر رقَّة مع الخطاة، وأكثر رأفةً مع البعيدين. فعندما نرى شخصاً يخطئ لا نهاجمه وندينه لأننا أفضل منه، بل نتعاطف معه لأننا سبق وأخطأنا كما أخطأ، واعترفنا فحصلنا على الغفران، فنقدم للمخطئ رسالة الحب الإلهي التي لا زلنا نتمتع بها، نحن و«كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 12).

إننا مطالبون أن نعطف على الخطاة الساقطين، كما أحب المسيح العشارين والخطاة الذين لا يحبهم أحد (لو 7: 34) ، لأن «من ردَّ خاطئاً عن ضلال طريقه يخلِّص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا» (يع 5: 20). ويجب أن نطيع الوصية: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أف 4: 32). ونذهب لنتلمذ جميع الأمم (مت 28: 19).

2 - تعهدٌ بالتسبيح: «نجّني من الدماء يا الله إله خلاصي، فيسبح لساني برّك. يا رب افتح شفتيَّ فيخبر فمي بتسبيحك» (آيتا 14، 15). يطلب داود من إله خلاصه أن يؤكد له النجاة والخلاص من عقوبة الدم البريء الذي سفكه، وعندها يرتفع صوت التسبيح والتمجيد لله إله البر، الأمين لعهوده وكلمته. لقد وعد أن يغفر للمعترِف المحتمي في الفداء الإلهي العظيم، ولا بد أن يحقِّق الوعد لداود (1يو 1: 9). وسواء عاقب الله أو عفا، فهو إله البر والعدالة والأمانة. لقد انغلقت شفتا داود عن التسبيح بسبب الشعور بالذنب، فطلب من الرب الذي منحه الغفران أن يمنح شفتيه نعمة الترتيل. كان شبيهاً بالأبرص المعزول عن جماعة الرب. أما وقد رجع فسينضم مع العابدين الذين يُخبرون بفضل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب (1بط 2: 9).

3 - تعهدٌ بتقديم ذبيحة مقبولة: «لأنك لا تُسرّ بذبيحة، وإلا فكنت أقدّمها، بمحرقة لا ترضى. ذبائح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (آيتا 16، 17). لم تكن في شريعة موسى ذبيحة أو محرقة عن الخطية التي يرتكبها صاحبها متعمّداً، خصوصاً خطيتي الزنا والقتل. ولو كانت هناك مثل هذه الذبائح أو المحرقات لقدَّمها داود. أما وقد غفر الله له، فإنه يشعر بالتواضع والانكسار والانسحاق أمام الله. وهو يدرك أن الله لا يحتقر القلب الخاضع التائب، الخجلان من خطيته، الذي يقف من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل يقرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو 18: 13). وهو الذي يقول: «بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ. أذنيَّ فتحت. محرقةٌ وذبيحة خطية لم تطلب» (مز 40: 6). إنه الحزين على خطاياه وعلى خطايا الآخرين، الذي يطوّبه المسيح بالقول: «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون» (مت 5: 4).

4 - تعهدٌ بتشجيع الشعب على العبادة: «أحسِن برضاك إلى صهيون. ابْنِ أسوار أورشليم. حينئذٍ تُسرّ بذبائح البر، محرقة وتقدمة تامة. حينئذ يُصعدون على مذبحك عجولاً» (آيتا 18، 19). لم تكن أسوار أورشليم قد اكتملت في أيام داود وسليمان، فقام كلاهما بالكثير من البناء (2صم 5: 9 و1مل 3: 1 و9: 15، 19). ولعل داود شعر أن الله ربما يمنعه من البناء بسبب خطاياه، فطلب أن يسمح له بتكملة بناء أسوار أورشليم. إنه ينتقل من الصلاة لأجل نفسه إلى الصلاة لأجل شعبه وعاصمته، القائمة على عدة تلال منها جبل صهيون. وهو يرى في سلامة العاصمة سلامة البلاد كلها. ويرى أن اكتمال البناء سيملأ قلب الشعب بالفرح، فيقدمون العجول، ذبائح برّ من قلوب بارة، وذبائح شكر وتهليل لله من قلوب شاكرة على كمال العمل، والذي سيكون مصدراً لحماية العاصمة وسكانها. وستكون هذه التسبيحات كالبخور العطر الذي يفرِّح قلب الله.

ونقدر أن نرى في طلبة داود «ابنِ أسوار أورشليم» معنى روحياً، فالخطية تهدم سور التقوى الذي يحمي النفس ويحمي الكنيسة. وعندما أخطأ داود تهدّم سورٌ روحي كبير في نفوس المعجبين به، الذين كانوا يتّخذونه مثلاً لهم، وربما هان ارتكاب الخطية في نظرهم، فطلب من الله أن يعيد إقامة هذا السور، وأن يقيم بناءً روحياً حياً من المؤمنين المتعبِّدين. وعلينا نحن أن نشترك في إقامة بيوت روحية ومادية لله في كل مكان، لترتفع تسبيحات الشكر له من كل جنبات أرضنا.

لنطلب منه أن يغفر خطايانا وأن يطهِّرنا، وعندها تتطهَّر قلوبنا وندخل في عهد مقدس مع الله، هو عهد الكرازة والعبادة وبناء كنيسته.

اَلْمَزْمُورُ الثَّانِي وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ دُوَاغُ الأَدُومِيُّ وَأَخْبَرَ شَاوُلَ وَقَالَ لَهُ: «جَاءَ دَاوُدُ إِلَى بَيْتِ أَخِيمَالِكَ».

1لِمَاذَا تَفْتَخِرُ بِالشَّرِّ أَيُّهَا الْجَبَّارُ؟ رَحْمَةُ اللهِ هِيَ كُلَّ يَوْمٍ! 2لِسَانُكَ يَخْتَرِعُ مَفَاسِدَ. كَمُوسَى مَسْنُونَةٍ يَعْمَلُ بِالْغِشِّ. 3أَحْبَبْتَ الشَّرَّ أَكْثَرَ مِنَ الْخَيْرِ، الْكَذِبَ أَكْثَرَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالصِّدْقِ. سِلاَهْ. 4أَحْبَبْتَ كُلَّ كَلاَمٍ مُهْلِكٍ وَلِسَانِ غِشٍّ. 5أَيْضاً يَهْدِمُكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ. يَخْطُفُكَ وَيَقْلَعُكَ مِنْ مَسْكَنِكَ، وَيَسْتَأْصِلُكَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ. سِلاَهْ. 6فَيَرَى الصِّدِّيقُونَ وَيَخَافُونَ، وَعَلَيْهِ يَضْحَكُونَ: 7«هُوَذَا الإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللهَ حِصْنَهُ، بَلِ اتَّكَلَ عَلَى كَثْرَةِ غِنَاهُ، وَاعْتَزَّ بِفَسَادِهِ».

8أَمَّا أَنَا فَمِثْلُ زَيْتُونَةٍ خَضْرَاءَ فِي بَيْتِ اللهِ. تَوَكَّلْتُ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ. 9أَحْمَدُكَ إِلَى الدَّهْرِ لأَنَّكَ فَعَلْتَ، وَأَنْتَظِرُ اسْمَكَ فَإِنَّهُ صَالِحٌ قُدَّامَ أَتْقِيَائِكَ.

رحمة الله هي كل يوم

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين.

عندما يكون الإنسان طريداً تتشوَّش أفكاره ويصعب عليه أن يكتب شعراً ويضع له موسيقى. لكن قلب داود الطريد كان مُمَكّناً في الرب، احتل الله فيه مكاناً كبيراً، فكان رجل الترنيم والصلاة. ونحن نشكر الله من أجل الذين يحبون الرب حباً يملك عليهم قلوبهم، فينفعلون معه ويحدّثونه، ويشكون له همومهم، ويشرحون له ظروفهم وأحوالهم.

كتب داود هذا المزمور عندما عرف من صديقه يوناثان بن شاول أن شاول سيطارده ليقتله، ففضَّل أن يهرب إلى «جت» عاصمة الفلسطينيين، ليكون بعيداً عن متناول يد شاول. وفي الطريق إلى جت كان محتاجاً إلى طعام وإلى سيف، فذهب إلى مدينة الكهنة «نوب» والتقى بأخيمالك رئيس الكهنة، فأعطاه خبز الوجوه المقدس الذي لا يحل أكله إلا للكهنة، وأعطاه أيضاً سيف جليات (1صم 21: 1–9 ومر 2: 26). ونقل دواغ الأدومي (من نسل عيسو، وكان مشرفاً على ثروة شاول الحيوانية) خبر هذا الأمر

إلى الملك، وفسَّره بأنه خيانة من الكهنة، فأمر شاول بقتلهم، وهرب داود ناجياً، واستمر شاول يطارد داود. وشعر داود بالمعاناة والضغط، مع الإحساس بالذنب، لأنه تسبَّب في قتل الكهنة الذين عاونوه، فكتب هذا المزمور.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – حالة الشرير (آيات 1–5)

ثانياً – حالة المؤمن (آيات 6–9)

أولاً ـ حالة الشرير

(آيات 1-5)

1 - وصف الشرير: (آيات 1–4).

(أ) **يفتخر بالشر**: «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار؟ رحمة الله هي كل يوم» (آية 1). يبدأ المرنم مزموره بالاحتجاج على الشرير الذي يفتخر بشرِّه، ويذكِّره برحمة الله الدائمة، ويسأله: لماذا يفتخر؟ هل لأنه جبار متجبِّر متكبِّر يظن نفسه بطلاً؟ «ويلٌ للأبطال على شُرب الخمر!» (إش 5: 22) «لا للحق قَووا في الأرض» (إر 9: 3). إن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا 5: 8). والرب الأعلى هو الرحيم، الذي تسع رحمته الخاطئ ليتوب.

(ب) **يخترع الشر**: «لسانك يخترع مفاسد» (آية 2أ). اختراع اللسان هو الكذب. ولا يكتفي الشرير بالفخر بالشر لكنه يتحدث عنه حديث إفكٍ وكذب. وبعد وقت يصيبه الملل من تكرار الكذب الذي يردِّده، فيخترع كذباً جديداً، أكثر حماقة من الأول، لأن من فضلة القلب يتكلم الفم (مت 12: 34)، ولسان الشرير «شر لا يُضبَط مملوٌّ سماً مميتاً (يع 3: 8)، فيجرح سُمعة الأبرياء، كما جرح دواغ الأدومي سُمعة داود وأخيمالك، وتسبّب في قتل الكهنة ومطاردة داود. قال شاعر عربي:

جراحات السِّنان (السيوف) لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان!

(ج) **يرتكب الشر**: «كموسى مسنونة يعمل بالغش» (آية 2ب). يمزق سمعة الناس ويؤذي نفوسهم، ويجرح أجسادهم، ويصيبهم ويقطعهم.

(د) **يحب الشر**: «أحببتَ الشر أكثر من الخير، الكذب أكثر من التكلم بالصدق. أحببت كل كلام مُهلك، ولسان غش» (آيتا 3 ،4). محبة الشرير للشر والأذى أكثر من محبته للخير، وحبه للكذب

أكثر من حبه للتكلم بالصدق، فهو من أبٍ هو إبليس الكذاب وأبو الكذاب (يو 8: 44). الخاطئ خاطئ بطبيعته الفاسدة، وخاطئ بما يفعله، نتيجةً لتأثير طبيعته الفاسدة.

2 - نهاية الشرير: «أيضاً يهدمك الله إلى الأبد، يخطفك ويقلعك من مسكنك، ويستأصلك من أرض الأحياء» (آية 5). لا بد أن يدفع الشرير أجرة خطيته. وهو ضعيف مهما كانت قوته في الشر، وليست له جذور، فلا بد أن يُقتَلع. ويذكر المرنم الأوصاف التالية لنهاية الشرير:

* «يهدمك»: يُهدَم كبناء عظيم مرتفع يتدمَّر ولا تقوم له قائمة.. كان دواغ الأدومي يشغل مركزاً مرموقاً في بلاط الملك، وكانت مكانته رفيعة، ولكنه هلك.

* «يخطفك»: كثروة ضائعة.

* «يقلعك»: كخيمة بلا أوتاد تطيِّرها الرياح!

* «يستأصلك»: كشجرة تُقتلع من الجذور، مهما تأصَّلت جذورها. «أما الأشرار فينقرضون من الأرض، والغادرون يُستَأصلون منها» (أم 2: 22).

* «إلى الأبد»: فإنه بالكيل الذي به يكيلون يُكال لهم (مت 7: 2) و«أجرة الخطية هي موت» (رو 6: 23).

ثانياً ـ حالة المؤمن

(آيات 6-9)

1 - ردّ فعل المؤمن لمعاقبة الشرير: (آيتا 6 و7).

(أ) **المؤمن يرى:** «فيرى الصديقون» (آية 6أ). يرون ويتأملون. وجديرٌ بالمؤمن دائماً أن لا يترك شيئاً يراه من ظروف حسنة أو سيئة دون أن يتأمله ويسأل عنه، ويفكر فيه، لأن مع الله لا يحدث شيء قط بمحض الصدفة، بل جميع أعماله مرتَّبة منذ الأزل. فلنسأل الرب: ما هو قصدك؟ ماذا ستفعل، وماذا تريدني أن أفعل؟ لماذا أدخلتني في أتون النار؟ لماذا سبّبتَ لي الخسارة؟ لماذا ضاع أملي؟

(ب) **المؤمن يخاف:** «يخافون» (آية 6ب). يعلم المؤمن أن الله حي وموجود، وأنه لن يترك شيئاً بدون مجازاة، خيراً كان أم شراً، فيتَّقي الرب من كل قلبه. وهناك فرق بين خوف الأشرار من الرب وخوف المؤمنين للرب، فالأشرار يخافون من العقاب، أما المؤمنون فيهابون الله ويحترمونه، وهذا «رأس الحكمة».

(ج) المؤمن يضحك: «وعليه يضحكون» (آية 6ج). لا ضحك التشفّي في ما حلَّ بالشرير من عقاب، بل ضحك الفرح بالعدالة الإلهية. «عادلةٌ وحقٌّ هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ 15: 3). (د) المؤمن يتعلم: «هوذا الإنسان الذي لم يجعل الله حصنه، بل اتكل على كثرة غناه، واعتزَّ بفساده» (آية 7). يتعلم المؤمن من عقاب الأشرار أن الشر يميت الشرير «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت 16: 26). لقد أثمرت أرض الغني الغبي وكثُرت محاصيله، ولكن غناه كان لنفسه وليس لله، فمات دون أن يأخذ شيئاً مما كنز، وقد علَّق المسيح على هذا بقوله: «ليست حياة الإنسان من أمواله» (لو 12: 16-21). وينقل المؤمن ما تعلَّمه لغيره من المؤمنين، كما يعلّمه للخطاة راجياً توبتهم، فإنه «إن زاد الغِنى فلا تضعوا عليه قلباً» (مز 62: 10). «أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر ألاّ يستكبروا، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغِنى، بل على الله الحي» (1تي 6: 17).

2 - وصف سلوك المؤمن:

(أ) شخصية المؤمن: «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله» (آية 8أ). فالمؤمن يحب بيت الرب ويريد أن يسكن فيه إلى مدى الأيام (مز 23: 6). ولا بد أن المرنم كان يفكر في شجرة زيتون مزروعة في ساحة الهيكل، فرآها، ورأى نفسه فيها:

* الزيتونة دائمة الخضرة: فالمؤمن كشجرة مغروسة عند المياه الجارية، تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح (مز 1: 1-3. راجع إر 17: 7، 8).

* الزيتونة معمِّرة: تعيش الزيتونة مئة سنة أو أكثر. ولا بد أن الزيتونة المزروعة في فناء الهيكل تنال حراسة أفضل فتُعمِّر أكثر، لأنه لا يصيبها أذى. وهذا هو حال المؤمن. تنظر إلى الشرير فلا تجده، أما المؤمن فإن الله يمتعه بطول الأيام وعمقها.

* الزيتونة تعطينا الزيت: ليُستخدم في الإضاءة وإنارة الهيكل، ويقول الرب للمؤمنين: «أنتم نور العالم» (مت 5: 14).. كما كان الزيت يُضاف إلى التقدمات (لا 2: 1-7) ، ويقول بولس إنه يُسكب على ذبيحة إيمان المؤمنين (في 2: 17).. ويُستخدم الزيت كدواء (لو 10: 34) ، ويشفي المؤمن آلام الآخرين بكلمة حلوة يقولها تغيث المعيي (إش 50: 4) لأنها كالبلسم الشافي، تطيِّب القلب المجروح. والمتعلم من الله يعرف كيف يغيث بكلمة حكمة من عند الله. والمؤمن يُشبع الآخرين ويُنير لهم ويغيثهم، وهو رمز للسلام والنجاح. وحتى عندما يُعصَر يبارك ويضيء (في 1: 29).. واستُخدِم خشب شجرة الزيتون في صنع بعض أجزاء الهيكل (1مل 6: 23، 33)، والمؤمن كالزيتونة يبني بيت الله.. وحملت حمامة نوح ورقة زيتون عندما عادت من رحلتها الاستكشافية للأرض (تك 8: 11) لتحمل رمز السلام

والاستقرار، والمؤمن يحمل دائماً في قلبه سلاماً للآخرين يفيض به عليهم، كما يحمل فمه أخباراً مفرحة، لأنه يسعى كسفير عن المسيح يطلب من الجميع أن يتصالحوا مع الله ومع بعضهم البعض، و«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (مت 5: 9).. وترمز الزيتونة للنجاح، فيقول المرنم: «إمرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك» (مز 128: 3).. واتَّخذ المسيح من أشجار الزيتون مخدعاً للصلاة في بستان جثسيماني، ركع تحتها.

(ب) اعتماد المؤمن: «توكَّلتُ على رحمة الله إلى الدهر والأبد» (آية 8ب). اعتمد المؤمن على الرب فرأى ما لا يُرى. إن عين الإيمان لا ترى فقط ما هو هنا والآن، ولكن ما لا يُرى وما هو آتٍ. اختار المسيح مجموعة تلاميذ ضعفاء لأنه كان يعلم ما سيكونون عليه عندما يملأهم روح الله، فينالون قوة ويكونون له شهوداً في أورشليم وفي كل مكان (أع 1: 8).

(ج) حمد المؤمن: «أحمدك إلى الدهر لأنك فعلتَ» (آية 9أ). المؤمن الذي يحب الله يشكر دائماً. فلنطوِّر حياة الشكر فينا قائلين: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس» (مز 103: 1، 2).

(د) انتظار المؤمن: «وأنتظر اسمك فإنه صالح قدام أتقيائك» (آية 9ب). يعلن المرنم أمام كل الأتقياء أن الرب صالح، وأنه ينتظره بكل الثقة «ففي طريق أحكامك يا رب انتظرناك. إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس» (إش 26: 8). وانتظار المؤمن للرب ليس انتظار الخمول والكسل، بل انتظار العمل والأمل، لأنه وهو ينتظر يهيئ قلبه لينال البركة. عندما خرج ملوك إسرائيل ويهوذا وأدوم يحاربون، نسوا تدبير أمر المياه اللازمة لجيوشهم الثلاثة، فاستدعوا النبي أليشع، فقال لهم إن المياه ستأتيهم من أدوم، وطلب منهم تجهيز حُفر في الأرض لتخزين الماء فيها. ولم يضيِّع الملوك وقت الانتظار عبثاً، بل كلَّفوا الجنود بالحَفْر وهم لا يرون أي دليل على مجيء الماء، فكان انتظارهم إيجابياً، نال جزاءه عندما جاءت مياه المطر الذي تساقط في أدوم وملأ كل الحُفر التي سبق أن جهَّزوها (2مل 3: 16-18). وهكذا يجب أن ينتظر المؤمن الرب، عاملاً واجبه، متوقِّعاً بركة السماء.

اَلْمَزْمُورُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ

انظر تعليقاتنا على مزمور 14 – فالمزموران متشابهان.

اَلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَتَى الزِّيفِيُّونَ وَقَالُوا لِشَاوُلَ: «أَلَيْسَ دَاوُدُ مُخْتَبِئاً عِنْدَنَا؟»

1اَللهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي، وَبِقُوَّتِكَ احْكُمْ لِي. 2اسْمَعْ يَا اللهُ صَلاَتِي. اصْغَ إِلَى كَلاَمِ فَمِي، 3لأَنَّ غُرَبَاءَ قَدْ قَامُوا عَلَيَّ، وَعُتَاةً طَلَبُوا نَفْسِي. لَمْ يَجْعَلُوا اللهَ أَمَامَهُمْ. سِلاَهْ. 4هُوَذَا اللهُ مُعِينٌ لِي. الرَّبُّ بَيْنَ عَاضِدِي نَفْسِي. 5يَرْجِعُ الشَّرُّ عَلَى أَعْدَائِي. بِحَقِّكَ أَفْنِهِمْ. 6أَذْبَحُ لَكَ مُنْتَدِباً. أَحْمَدُ اسْمَكَ يَا رَبُّ لأَنَّهُ صَالِحٌ. 7لأَنَّهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ نَجَّانِي، وَبِأَعْدَائِي رَأَتْ عَيْنِي.

غرباء قاموا عليَّ

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. وقد كتب داود هذا المزمور عندما أبلغ الزيفيون شاول أن داود مختبئ عندهم، فطارده شاول ليقتله (1صم 23: 19). وقد اعتادت الكنيسة أن تقرأ هذا المزمور يوم الجمعة العظيمة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صلاة لطلب الإنقاذ (آيات 1–3)

ثانياً – الثقة في العون الإلهي (آيات 4–7)

أولاً ـ صلاة لطلب الإنقاذ

(آيات 1-3)

1 ـ يرفع داود ثلاث طلبات: (آيتا 1 و2).

(أ) طلب الخلاص: «اللهم باسمك خلِّصني» (آية 1أ). يدل الاسم على القدرة، فاسم الشخص يحمل قدرته وسلطانه وصفاته المُعلَنة. ويتوجَّه المرنم إلى الله صاحب هذه الصفات العظيمة ليخلِّصه، فإن «اسم الرب برجٌ حصين، يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع» (أم 18: 10). «الرب إلهك في وسطك جبار يخلِّص» (صف 3: 17). والله يخلِّص الخاطئ بأن يمنحه الغفران (1تي 2: 4) ، والمجنون بأن ينقذه من الشياطين (لو 8: 36)، والمتضايق بأن يهبه الإنقاذ (مز 27: 1–3). فالخلاص شامل، يغطي

كل نواحي حياة الإنسان، ولذلك طلب داود: «اللهم باسمك خلصني» من يد شاول والزيفيين الذين وشوا بي، وأرادوا أن يسلِّموني له (1صم 23: 19).

(ب) طلب العدالة: «بقوَّتك احكم لي» (آية 1ب). لجأ داود في هذه الطلبة إلى الله كقاضٍ أمين يحكم بعدالته، وينفِّذ أحكامه بقوته. كان داود واثقاً من براءته، ومتأكداً من ظلم شاول والزيفيين، فلجأ إلى الله لينقذه وينجّيه، عالماً أن نجاة الله تأتي بقوة وبهدوء يذهلان الجميع، كما حدث مع بطرس الذي لم يصدِّق المؤمنون أنه نجا من سجن هيرودس (أع 12: 16).

(ج) طلب الاستجابة: «اسمع يا الله صلاتي. اصغَ إلى كلام فمي» (آية 2). لم تمنع الآلام ولا الضيقات داود من أن يلجأ إلى الله. كثيرون عندما يتضايقون يتذمرون أو يلومون الله ويمتنعون عن الحديث معه، أما الواثقون في محبته فيتقرَّبون إليه أكثر في وقت الضيق، كما في وقت النجاح، فهناك «هلاك يُفسد في الظهيرة» (مز 91: 6) عندما ينجح الإنسان، فيظن أنه قد ملَك مقادير نفسه، وأنه قادرٌ أن يسيِّر سفينة حياته بيده. فلنلجأ للصلاة وقت الفشل كما في وقت النجاح، لأنه «ينبغي أن يُصلَّى في كل حين ولا يُمل» (لو 18: 1). «صلوا بلا انقطاع» (1تس 5: 17). وليكن شعارنا: «أما أنا فصلاة» (مز 109: 4) فيكون لنا تواصل دائم بالله لا ينقطع أبداً، ولا نتوقف عن الحديث معه مهما كانت ظروف الحياة. ويطلب داود أن يصغي الله إلى كلمات فمه، بعد أن استجاب طلبته: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّةً أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز 19: 14).

2 ـ ثلاثة أسباب لطلبات داود: (آية 3).

(أ) لأن أعداءه غرباء: «لأن غرباء قد قاموا عليَّ» (آية 3أ). لم يكن أهل برية زيف غرباء عن داود بحسب الجسد، فهم من سبط يهوذا، وأبناء عمومته. ولكنهم قاموا عليه لأنهم اغتربوا عنه بوقوفهم ضد قضيته، والوشاية به إلى شاول الذي من سبط بنيامين. وهذا ما فعله يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيح سيده ومعلّمه، فتمَّت النبوَّة «آكل خبزي رفع عليَّ عقبه» (مز 41: 9). وقال المسيح لتلاميذه: «سوف تُسلَّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء» (لو 21: 16). وكثيراً ما نتألم من أخٍ نتوقع منه المحبة فنجد منه الجفاء أو الخيانة، ونكتشف أن أعداء الإنسان أحياناً يكونون أهل بيته، لأنهم لا يدركون معنى إيمانه (مي 7: 6 ومت 10: 36).

(ب) لأن أعداءه ظالمون: «لأن عتاةً طلبوا نفسي» (آية 3ب). العتاة هم الظالمون، الذين لم يكتفوا بأن يغتربوا عنه، ولكنهم هاجموه في قسوة لم يتوقَّعها. لقد أنقذ داود أهل مدينة قعيلة من يد

الأعداء، مع ذلك عزموا أن يسلِّموه إلى شاول. فهل يُكافأ الإحسان بالإساءة؟ ومع أن الزيفيين عرفوا بالإنقاذ الإلهي على يد داود، إلا أنهم أرادوا أن يسلِّموه لشاول! (1صم 23).

(ج) لأن أعداءه أشرار: «لم يجعلوا الله أمامهم» (آية 3ج). طلبوا نفس داود، ولم يدركوا خطة الله لحياتهم وحياته. وكل من يقاوم فاعل الخير، يقاوم أهداف الله، عن جهلٍ أو عن شر، ولذلك كانت أول كلمة للمسيح على الصليب: «يا أبتاه، اغفِر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو 23: 34).

ثانياً ـ الثقة في العون الإلهي

(آيات 4-7)

في هذه الآيات الأربع يعلن داود ثقته في محبة الرب وعدالته، كما يعلن ثقته أن له صلة شخصية قديمة بالله.

1 ـ الثقة في محبة الله: «هوذا الله معين لي. الرب بين عاضدي نفسي» (آية 4). يعلن داود ثقته في الرب العاضد، الرافع، المعين، المساعد، الذي يهب النصر. ويدل وصف الله بأنه «معين» و«عاضد» على تعاطُف الله مع داود وإحساسه بتجربته، كما قال المسيح للطرسوسي: «أنا يسوع الذي أنت تضطهده» (أع 9: 5). وكما قال إشعياء: «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم» (إش 63: 9). كما يدل الوصفان على ثقة داود في معونة الرب وإسناده. إنه يثق أن الرب سينصفه، لأنه إن كان الله معنا فمن علينا؟ (رو 8: 31). إن رحمته أفضل من الحياة (مز 63: 3) وهو يساعد داود بنفسه، كما أنه يكلّف بشراً أو ملائكة ليساعدوه. وكم منحنا الرب المساعدة عن طريق آبائنا، وشريك الحياة، ومرشدينا الذين يعلموننا كلمة الله، وكل من يقدِّم لنا كلمة أو خبراً مفرِّحاً عن الرب. **2 – الثقة في عدالة الله:** «يرجع الشر على أعدائي. بحقِّك أَفنِهم» (آية 5). يثق داود في قانون العدالة السماوية، فمن يخطئ لا بد أن ينال عقوبته، وهو يلجأ إلى الله ليفعل هذا، عملاً بالوصية «لي النقمة والجزاء.. لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يشفق» (تث 32: 35، 36).

3 ـ الثقة في الصلة الشخصية بالله: «أذبح لك مُنتدِباً. أحمد اسمك يا رب لأنه صالح» (آية 6). الانتداب هو ما يقدِّمه الإنسان لله طوعاً، والمعطي المسرور يحبه الله (2كو 9: 7). هناك ذبائح أمرت شريعة موسى بتقديمها، ولكن الذي يقدِّم ذبيحةً منتدِباً هو الذي يقدِّم غير المفروض عليه، وأكثر مما تأمر به الشريعة، ليشهد لصلاح الرب ورحمته معه، ويقول: «بروح منتدبة اعضُدني، فأعلِّم الأثَمةَ طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (مز 51: 12، 13). وقد ورد ذكر هذا النوع من الذبائح في العدد 15: 3

ويسمّيه «نافلة».

4 ـ الثقة في خلاص الله:

«لأنه من كل ضيقي نجاني، وبأعدائي رأت عيني» (آية 7). كم تعامل الله مع داود، وكم عاونه في كل المواقف السابقة، فوقف بينما سقط أعداؤه، وثبت بينما انهار مقاوموه. قال المسيح: «أليس عصفوران يُباعان بفلس، وواحدٌ منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها مُحصاة» (مت 10: 29، 30). فطوبى لمن يختبر خلاص الله لأنه «إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مُسنِدٌ يده» (مز 37: 24). فلنصل صلاة الواثقين متوقِّعين الانتصار. «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليّ وسمع صراخي.. لأنه من كل ضيق نجّاني» (مز 40: 1 و54: 7).

اَلْمَزْمُورُ الْخَامِسُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. قَصِيدَةٌ لِدَاوُدَ

1اِصْغَ يَا اللهُ إِلَى صَلاَتِي، وَلاَ تَتَغَاضَ عَنْ تَضَرُّعِي. 2اسْتَمِعْ لِي وَاسْتَجِبْ لِي. أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ 3مِنْ صَوْتِ الْعَدُوِّ، مِنْ قِبَلِ ظُلْمِ الشِّرِّيرِ. لأَنَّهُمْ يُحِيلُونَ عَلَيَّ إِثْماً، وَبِغَضَبٍ يَضْطَهِدُونَنِي. 4يَمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي، وَأَهْوَالُ الْمَوْتِ سَقَطَتْ عَلَيَّ. 5خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ. 6فَقُلْتُ: «لَيْتَ لِي جَنَاحاً كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ! 7هَئَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ. سِلاَهْ. 8كُنْتُ أُسْرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ وَمِنَ النَّوْءِ».

9أَهْلِكْ يَا رَبُّ. فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ ظُلْماً وَخِصَاماً فِي الْمَدِينَةِ. 10نَهَاراً وَلَيْلاً يُحِيطُونَ بِهَا. عَلَى أَسْوَارِهَا وَإِثْمٌ وَمَشَقَّةٌ فِي وَسَطِهَا. 11مَفَاسِدُ فِي وَسَطِهَا، وَلاَ يَبْرَحُ مِنْ سَاحَتِهَا ظُلْمٌ وَغِشٌّ. 12لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. 13بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي، إِلْفِي وَصَدِيقِي، 14الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ. إِلَى بَيْتِ اللهِ كُنَّا نَذْهَبُ فِي الْجُمْهُورِ. 15لِيَبْغَتْهُمُ الْمَوْتُ. لِيَنْحَدِرُوا إِلَى الْهَاوِيَةِ أَحْيَاءً، لأَنَّ فِي مَسَاكِنِهِمْ فِي وَسَطِهِمْ شُرُوراً.

16أَمَّا أَنَا فَإِلَى اللهِ أَصْرُخُ، وَالرَّبُّ يُخَلِّصُنِي. 17مَسَاءً وَصَبَاحاً وَظُهْراً أَشْكُو وَأَنُوحُ، فَيَسْمَعُ صَوْتِي. 18فَدَى بِسَلاَمٍ نَفْسِي مِنْ قِتَالٍ عَلَيَّ، لأَنَّهُمْ بِكَثْرَةٍ كَانُوا حَوْلِي. 19يَسْمَعُ اللهُ فَيُذِلُّهُمْ، وَالْجَالِسُ مُنْذُ الْقِدَمِ. سِلاَهْ. الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ تَغَيُّرٌ، وَلاَ يَخَافُونَ اللهَ. 20أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَى مُسَالِمِيهِ. نَقَضَ عَهْدَهُ. 21أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ، وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ.

22أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ فَهُوَ يَعُولُكَ. لاَ يَدَعُ الصِّدِّيقَ يَتَزَعْزَعُ إِلَى الأَبَدِ. 23وَأَنْتَ يَا اللهُ تُحَدِّرُهُمْ إِلَى جُبِّ الْهَلاَكِ. رِجَالُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ لاَ يَنْصُفُونَ أَيَّامَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَأَتَّكِلُ عَلَيْكَ.

ليت لي جناحاً

يعبِّر هذا المزمور عن يأس داود وحزنه لأن صديقاً خانه، وقد يكون الصديق هو أخيتوفل الذي هجر داود وانضمَّ إلى ابنه أبشالوم يوم قام بانقلابٍ فاشل ضد أبيه (2صم 15: 10–37). وقد أطلق القديس إيرونيموس على هذا المزمور: «صوت المسيح ضد شيوخ اليهود وضد يهوذا الخائن».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – صرخة نفس حزينة (آيات 1–8)

ثانياً – ذكريات نفس حزينة (آيات 9–15)

ثالثاً – ثقة نفس منتصرة (آيات 16–23)

أولاً ـ صرخة نفس حزينة

(آيات 1-8)

1 ـ صرخة داود: «اصغَ يا الله إلى صلاتي، ولا تتغاضَ عن تضرعي. استمع لي واستجب لي» (آية 1، 2أ). قال عالِم النفس إريك برن إن في داخل كلٍّ منا طفلاً، يصرخ عندما نواجه مشكلة أكبر منا لا نستطيع أن نعالجها بأنفسنا. وكطفلٍ خائف يبحث عن الأمان دعا داود الشخص الأقرب إلى نفسه (وهو الله) ليساعده، عالماً أنه لن يتأخر أبداً في مدِّ يد العون إليه، بل إنه سيعينه بقوة من عنده، كما سيرشده إلى الإمكانيات والمواهب الكامنة داخله، ويعبئها ويوجِّهها الوُجهة السليمة ليتمكن داود من الخروج من مأزقه، والقيام بعمل كل ما هو صالح.

2 ـ حزن داود: (آيات 2ب–5).

(أ) **حزين حائر**: «أتحيَّر في كربتي وأضطرب من صوت العدو، من قِبَل ظلم الشرير، لأنهم يُحيلون عليَّ إثماً، وبغضبٍ يضطهدونني» (آية 2ب، 3). أصابه الخوف بما يشبه الشلل، فعجز عن التفكير السليم، ولم يعُد قادراً على توظيف إمكانياته! كيف يقوم أبشالوم ابنه عليه؟ وكيف يساعد أخيتوفلُ الصديقُ المخلصُ هذا الابنَ العاق؟! أسئلة لم يجد داود لها إجابات مقنعة!

(ب) **حزين خائف**: «يمخض قلبي في داخلي، وأهوال الموت سقطت عليَّ. خوف ورعدة أتيا عليَّ، وغشيني رعبٌ» (آيتا 4، 5). ارتعب من أن شعبه رفضه، وخاف من المستقبل المجهول، ورأى أهوال الموت قادمةً عليه، وضاعت ثقته في نفسه، ولعله ظنَّ أن الرب رفضه.

3 ـ خواطر داود: «ليت لي جناحاً كالحمامة فأطير وأستريح. ها نذا كنتُ أبعد هارباً وأبيت في البرية. كنت أسرع في نجاتي من الريح العاصفة ومن النَّوء» (آيات 6–8). أراد أن يكون كحمامة، رمز البراءة والضعف والطيران العالي. هرب داود بسرعة قبل أن يجيئه الموت على يدي أقرب الناس إليه، وهو ولده الذي انقلب عليه، تاركاً قصره وسلطاته، حافي القدمين، يسند رأسه على حرلكن رجلاً مثل داود لا يجب أن يهرب. ولقد جاز إرميا اختباراً مشابهاً فقال: «يا ليت رأسي ماء وعينيَّ ينبوع

دموع، فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي. يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين، فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة، جماعة خائنين، يمدّون ألسنتهم كقسيّهم للكذب، لا للحق قووا في الأرض» (إر 9: 1-3). و«بيت المسافرين» يشبه الفندق في الطريق الصحراوي بعيداً عن كل الناس. إلى هناك أراد إرميا أن يذهب، وإلى مكان بعيد أراد داود أن يهرب، بعيداً عن أبشالوم وعن أخيتوفل! ولكن ليس هذا هو الحل، فهذه رغبة عفوية، وليدة المشكلة والموقف! ولكن حالما يفكر داود في الأمر ملياً، وحالما يستريح في حضرة الله يقول ما قاله نحميا: «أرجلٌ مثلي يهرب!» (نح 6: 11). لقد رفع الله داود بالرغم من ثورة ابنه ضده وهجران أصحابه له. وأحسن هو استخدام الصعوبة فباركه الله من خلالها، فلم تعُد حملاً ثقيلاً عليه يسقط تحته. وشكراً لله لأن منتظري الرب «يجدِّدون قوة، يرفعون أجنحةً كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون» (إش 40: 31).

ثانياً ـ ذكريات نفس حزينة

(آيات 9-15)

حاول داود أن يهرب من الواقع لمرارته، فرجع إلى ذكرياته، وتذكر شيئين:

1 ـ عاصمة ظالمة: (آيات 9-11). تذكر الشر والظلم الذي حلَّ بالعاصمة أورشليم بعد أن طُرد منها، فانتشر فيها النهب والسلب، وتفشَّت فيها الثورة ضد السلطة المدنية، والغش في التجارة، والظلم في الأحكام، حتى شَمَل الخراب كل شيء. «كيف صارت القرية الأمينة زانية؟.. كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون» (إش 1: 21). ولا شك أن شيئاً من هذا كان يحدث أثناء وجود داود في أورشليم. فلو أن داود أنصف لوزَّع مسؤوليات القضاء على عدد كبير من القضاة في إسرائيل، ولم يدع كل صاحب حاجة يجيء إليه هو بمشكلته، مما جعل أبشالوم يستغل الموقف ويقول إن داود غير قادر على الإنصاف. وجدير بنا أن نتعلم كيف ننظم مسؤولياتنا فنوجِد مزيداً من المحبة، ونوقِف التصادم، فلا يتكرر ما حدث بين أبشالوم وأبيه، ويقلّ الظلم.

2 ـ أصدقاء ظالمون: (آيات 12-15).

(أ) كان قريباً منه: « لأنه ليس عدوٌّ يعيّرني فأحتمل. ليس مبغضي تعظم عليّ فأختبئ منه! بل أنت إنسان عديلي. إلفي وصديقي» (آيتا 12، 13). جاءت الخيانة من «إلفه» صاحب العِشرة الطويلة معه، ومن «صديقه» الذي كان يتفاهم معه، وليس من عدو له.

(ب) كان مفرحاً له: «معه كانت تحلو لنا العِشرة» (آية 14أ).

(ج) كان عابداً معه: «إلى بيت الله كنا نذهب في الجمهور» (آية 14ب). أفاضت العبادة على تلك الصداقة بُعداً روحياً مقدساً «فرحتُ بالقائلين لي: إلى بيت الرب نذهب» (مز 122: 1). ولكن ذلك الصديق ارتدَّ عن محبة الله ومحبة داود.

(د) فطلب له العقاب: (آية 15).

ثالثاً ـ ثقة نفس منتصرة

(آيات 16-23)

1 - وصف الثقة: (آيات 16-21).

(أ) ثقة مستمرة: «أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلصني. مساءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيسمع صوتي» (آيتا 16، 17). كان يحدِّث الله بانتظام مساءً وصباحاً وظهراً، واثقاً فيه، فانتصر. وكل من يدعو باسم الرب يخلص من خطاياه ومن كل ضيقاته (رو 10: 13). كان دانيال يصلي ثلاث مرات في اليوم (دا 6: 10)، وكان الرسول بطرس يصلي ظهراً (أع 10: 9). كان داود يصلي في المساء لأن أحداث الغد تبدأ من مساء اليوم السابق له، فيضع داود أمام الله مشاكل يومه وما جرى فيه، لينام بدون أن تختمر مشاكل أمسه في رأسه، فتدمِّر غده. وكان يصلي في الصباح ليبدأ يوماً جديداً بروح جديدة، ومحبة جديدة وغفران جديد. وكان يصلي في الظهر ليستمد قوة جديدة من الله، فلا تغرب الشمس على غيظه ولا يحتل إبليس مكاناً في قلبه (أف 4: 26، 27).

(ب) ثقة فاهمة: «فدى بسلامٍ نفسي من قتالٍ عليَّ، لأنهم بكثرة كانوا حولي. يسمع الله فيذلّهم والجالس منذ القِدم» (آيتا 18، 19أ). فدى الرب داود لأنه فاديه ووليُّ أمره، فنال السلام الذي يحفظ فكره وقلبه في الرب الجالس على عرشه منذ القِدم. «ألستَ أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي؟» (حب 1: 12). يبني داود ثقته الحاضرة في الرب على أساس أعمال الرب في الماضي معه، ويبني المستقبل على كليهما.

(ج) ثقة بالرغم من الصعوبة: (آيات 19ب-21). لم يبن داود ثقته المنتصرة على سهولة موقفه، بل بالرغم من صعوبته. لم تكن في قلوب أعدائه رحمة، بل كانوا مخادعين منافقين. وبالرغم من ذلك أعلن داود ثقته الظافرة بالله.

2 - أساس الثقة: (آيتا 22، 23). أسَّس ثقته على أمرين:

(أ) إلقاء همه على الرب: «ألقِ على الرب همك فهو يعولك. لا يدع الصدِّيق يتزعزع إلى الأبد» (آية 22). «الهمُّ في قلب الرجل يحنيه» (أم 12: 25). ومن الغريب أن كلمة «همّ» في الأصل

العبري تحمل معنى آخر هو «عطية أو هدية» فأحياناً يرسل الله لنا بركات من الألم. وكأن داود يدعونا أن نسلِّم للرب ما أعطاه لنا من نِعم، وما سمح لنا به من ألم، وأن نلقي نفوسنا وهمومنا عليه فيدبر أمرنا، لأنه يريد ويقدر أن يخلصنا من كل هم وضيق وتجربة. إنه الإله المتخصِّص في المستحيلات، وكل ما هو غير مستطاع عند الناس مستطاع عنده وحده (مت 19: 26). «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (1بط 5: 7).

(ب) يعاقب الرب الخطاة: (آية 23).

هذا الإله الذي يعاقب الخاطئ هو موضوع ثقة داود، الذي يقول: «أما أنا فأتَّكل عليك».

اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى «الْحَمَامَةِ الْبَكْمَاءِ بَيْنَ الْغُرَبَاءِ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا أَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ فِي جَتَّ.

1ارْحَمْنِي يَا اللهُ لأَنَّ الإِنْسَانَ يَتَهَمَّمُنِي، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ مُحَارِباً يُضَايِقُنِي. 2تَهَمَّمَنِي أَعْدَائِي الْيَوْمَ كُلَّهُ، لأَنَّ كَثِيرِينَ يُقَاوِمُونَنِي بِكِبْرِيَاءٍ. 3فِي يَوْمِ خَوْفِي أَنَا عَلَيْكَ أَتَّكِلُ. 4اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ! 5الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ. 6يَجْتَمِعُونَ، يَخْتَفُونَ، يُلاَحِظُونَ خَطَوَاتِي، عِنْدَمَا تَرَصَّدُوا نَفْسِي. 7عَلَى إِثْمِهِمْ جَازِهِمْ. بِغَضَبٍ أَخْضِعِ الشُّعُوبَ يَا اللهُ. 8تَيَهَانِي رَاقَبْتَ. اجْعَلْ أَنْتَ دُمُوعِي فِي زِقِّكَ. أَمَا هِيَ فِي سِفْرِكَ؟

9حِينَئِذٍ تَرْتَدُّ أَعْدَائِي إِلَى الْوَرَاءِ فِي يَوْمٍ أَدْعُوكَ فِيهِ. هَذَا قَدْ عَلِمْتُهُ لأَنَّ اللهَ لِي. 10اَللهُ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. الرَّبُّ أَفْتَخِرُ بِكَلاَمِهِ. 11عَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ، فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الإِنْسَانُ؟ 12اَللهُمَّ عَلَيَّ نُذُورُكَ. أُوفِي ذَبَائِحَ شُكْرٍ لَكَ، 13لأَنَّكَ نَجَّيْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ، نَعَمْ وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ، لِكَيْ أَسِيرَ قُدَّامَ اللهِ فِي نُورِ الأَحْيَاءِ.

يقاومونني بكبرياء

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. أما مناسبة كتابة هذا المزمور فهي نفس مناسبة كتابة مزمور 34، فنرجو أن يرجع القارئ الكريم إلى مقدمته.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – شكوى من ملاحقة العدو وعلاجها (آيات 1–4)

ثانياً – شكوى من مؤامرات العدو وعلاجها (آيات 5–8)

ثالثاً – الاطمئنان مع الله (آيات 9–13)

أولاً ـ شكوى من ملاحقة العدو وعلاجها

(آيات 1-4)

1 - سبب الشكوى: (آيتا 1، 2).

(أ) العدو يلاحقه: «ارحمني يا الله لأن الإنسان يتهمَّمني.. تهمَّمني أعدائي» (آية 1، 2أ). يطلب رحمة الله، ويشكو من تهمُّم العدو الذي يطارده ويلاحقه، مع أن العدو «إنسان» مائتٌ باطل، مأخوذ من التراب وإلى التراب يعود، ولكنه في شره يظن أنه قوي قادرٌ على ملاحقة داود وقتله. ولا شك أن رحمة الله أعظم جداً من الإنسان الفاني، ولا بد أن تنقذ المرنم الطريد.

(ب) العدو لا يتوقَّف عن ملاحقته: «اليوم كله محارباً يضايقني. تهممني أعدائي اليوم كله» (آية 1ب و2أ).

(ج) الأعداء كثيرون: «لأن كثيرين يقاوموننني بكبرياء » (آية 2ب). والمؤمن الذي لا يتوقَّع الشر والمقاومة مؤمن ساذج، فإبليس كأسدٍ زائر يجول ملتمساً من يبتلعه (1بط 5: 8). قال المسيح لبطرس: «هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو 22: 31، 32).

2 - علاج شكوى الملاحقة: (آيتا 3، 4).

(أ) الاعتماد على الله: «في يوم خوفي أنا عليك أتَّكل.. على الله توكلت فلا أخاف» (آيتا 3، 4ب). لا يسجِّل الوحي أن داود خاف من العدو إلا وهو في جت (1صم 21: 12). وفي خوفه سلَّم قضيته لمن لا يُرى ولكنه يرى، القادر على كل شيء. فصار من «المتكلين على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع، بل يسكن إلى الدهر. أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (مز 125: 1، 2).

(ب) الافتخار بكلمة الله ومواعيده: «الله أفتخر بكلامه» (آية 4أ). «انتظرتُك يا رب. انتظرَت نفسي، وبكلامه رجوت» (مز 130: 5). «لم تسقط كلمةٌ من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار» (يش 21: 45).

(ج) معرفة ضعف البشر: «ماذا يصنعه بي البشر!» (آية 4ج).

ثانياً ـ شكوى من مؤامرات العدو وعلاجها

آيات 5-8)

1- سبب الشكوى من المؤامرات: (آيتا 5، 6)

(أ) تحريف كلامه: «اليوم كله يحرِّفون كلامي» (آية 5أ). عندما وقع شاول بيد داود سأله: «لماذا تسمع كلام الناس القائلين: هوذا داود يطلب أذيَّتك؟» (1صم 24: 9). وقد حرَّف دواغ الأدومي كلام داود، وحرَّف تفسير ما فعله رئيس الكهنة، واشتكى عليهما بالباطل، فقُتل خمسة وثمانون كاهناً، وضُربت مدينتهم «نوب» بمن فيها من رجال ونساء وأطفال ورضعان وبهائم (1صم 22: 18، 19).

(ب) تفكيرهم بالشر: «عليَّ كل أفكارهم بالشر» (آية 5ب). إنهم من أب هو إبليس، و«مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف 6: 12).

(ج) يكمنون للشر: «يجتمعون، يختفون، يلاحظون خطواتي عندما ترصَّدوا نفسي» (آية 6). كجواسيس اجتمعوا ليراقبوه، فإذا انتبه لاجتماعهم اختفوا، ولكنهم استمروا يلاحظونه ويرصدون تحرُّكاته ليبلغوا بها شاول الذي أمرهم: «اذهبوا أكِّدوا أيضاً، واعلموا وانظروا مكانه حيث تكون رِجْله، ومَن رآه هناك. لأنه قيل لي إنه مكراً يمكر. فانظروا واعلموا جميع المختبآت التي يختبئ فيها. ثم ارجعوا إليَّ على تأكيدٍ فأسير معكم. ويكون إذا وُجد في الأرض أني أفتش عليه بجميع ألوف يهوذا» (1صم 23: 22، 23).

2 - طلبتان لعلاج الشكوى: (آيتا 7، 8).

(أ) عقاب المتآمرين: «على إثمهم جازِهم. بغضبٍ أخضِع الشعوب يا الله» (آية 7). يبني داود ثقته على أن عدالة الله لا بد ستنجيه من المتآمرين عليه، فهي تجازي كل واحد حسب عمله.
(ب) الإنقاذ الإلهي: «تيَهاني راقبتَ. اجعل أنت دموعي في زِقِّك. أما هي في سِفْرك؟» (آية 8). كلمة «راقبتَ» في الأصل العبري تعني الإحصاء، فالرب يُحصي حتى شعور رأس المؤمن (مت 10: 30). لقد أحصى عدد مرات تيهان داود، وعدد الكهوف التي اختبأ فيها، وعدد الصعوبات التي اجتازها، وفي كل ضيقه تضايق، وملاك حضرته خلَّصه. بمحبته ورأفته فكَّه ورفعه، وحمله (إش 63: 9) ، وحفظ دموعه في الزقِّ الإلهي (وهو وعاءٌ من الجلد، أو قِرْبة). وهذا التعبير مأخوذٌ من عادةٍ قديمة، هي أنه عندما يذهب صديقٌ لزيارة صديقٍ حزين، يبكي معه، ثم يمسح دموعه بمنديل، يعصره في زجاجة صغيرة، يحتفظون بها تذكاراً للصداقة التي تواسي المتألم وقت الحزن. وداود يثق أن الرب صديقه، يواسيه ويتألم معه ويسجِّل كل أحزانه ودموعه في سِفره! «حينئذ كلَّم متَّقو الرب كلٌّ واحد قريبه، والرب أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتَّقوا الرب وللمفكرين في اسمه» (ملا

3: 16) ، وكأن الله يسجل حالة كل مؤمن يصلي إليه في مذكرة خاصة، فلا يحتاج المصلي أن يعيد الطلب ويكرره كالذين يظنون إنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم (مت 6: 7).

ثالثاً ـ الاطمئنان مع الله

(آيات 9-13)

بناءً على حقائق الإعلان الإلهي، وعلى الاختبارات السابقة يجد المؤمن الاطمئنان والسلام والراحة. ويرجع اطمئنانه إلى:

1 ـ تأكيد هزيمة العدو: «حينئذ ترتدُّ أعدائي إلى الوراء في يومٍ أدعوك فيه. هذا قد علِمْتُهُ لأن الله لي» (آية 9). يجيء الاطمئنان أولاً من تأكيد هزيمة العدو، فيحصل المؤمن على النجاة، ويقول: «أدعو الرب الحميد فأتخلَّص من أعدائي» (2صم 22: 4).

2 ـ تأكيد النصر: «الله أفتخر بكلامه. الرب أفتخر بكلامه. على الله توكَّلتُ فلا أخاف. ماذا يصنعه بي الإنسان!» (آيتا 10، 11). صحيحٌ أن «من ازدرى بالكلمة يُخرب نفسه، ومن خشي الوصيَّة يُكافأ» (أم 13: 13). يطمئن التقي لأنه يثق أن النصر قادم، بناءً على مواعيد الله. وهو لا ينجو فقط بل سينتصر! ويكرر المرنم هنا ما قاله في آية 4، فهو يفتخر بكلام الله ومواعيده، ويتكل عليه فلا يخاف ماذا يصنع به الإنسان، فالرب ملك السماوات والأرض يقول في مطلع كل يوم: «اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم.. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (مت 7: 7 ويو 16: 24).

3 ـ تأكيد الصلة بالرب: (آيتا 12، 13).

تظهر صلة داود بالرب من نذرٍ يوفيه، وشكر يؤدّيه.

(أ) وفاء النذر: «اللهمَّ عليَّ نذورك» (آية 12أ). فبالرغم من أنه متغرِّبٌ في أرض الفلسطينيين، لكنه يثق أنه سيعود إلى مكان العبادة في أورشليم ليوفي نذوره. «أدخل إلى بيتك، بمحرقاتٍ أوفيك نذوري التي نطقَت بها شفتاي، وتكلم بها فمي في ضيقي» (مز 66: 13، 14). (انظر تعليقنا على مز 50: 14 بخصوص النذور).

(ب) ذبائح الشكر: «أوفي ذبائح شكرٍ لك» (آية 12ب). بالإضافة إلى الوفاء بالنذور يقدِّم تقدمة شكر على نجاةٍ قادمةٍ لا شكَّ فيها. « أُصعد لك محرقاتٍ سمينة مع بخور كباش» (مز 66: 15).

4 ـ تأكيد النجاة: «لأنك نجَّيْتَ نفسي من الموت، نعم ورجليَّ من الزَّلق، لكي أسير قدام الله في نور

أحياء» (آية 13). يتحدث داود عن المستقبل بصيغة الماضي، لأنه واثقٌ من النجاة. لقد اختبر الإنقاذ الإلهي مرات بلا عدد، فقد أنقذه وهو صبي من افتراس الأسد، وأنقذه وشعبه من جليات الجبار. وكم أراد العدو أن يدفع به لينزلق ويسقط، ولكن الرب أقامه على صخرة حصينة. وكم أراد أن يلقي به في ظلمة القبر ولكن الرب منعه، فقال داود لعدوّه: «دَحَرْتني دُحوراً لأسقط، أما الرب فعَضَدَني» (مز 118: 13). إنه يثق أنه سيسير قدام الله في نور الأحياء، لا في ظلمة القبر، فيحيا في محضر الرب، تحت حمايته، يقدِّم له الخدمة المرضيَّة، فإن كل من يتبع نور العالم لا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة (يو 8: 12). دعونا نركز أنظارنا على الله، فنختبر مع داود صلاحه وعنايته ومحبته وفضله الذي لا ينقص ولا يتوقَّف.

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ عِنْدَمَا هَرَبَ مِنْ قُدَّامِ شَاوُلَ فِي الْمَغَارَةِ.

1ارْحَمْنِي يَا اللهُ ارْحَمْنِي، لأَنَّهُ بِكَ احْتَمَتْ نَفْسِي، وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَحْتَمِي إِلَى أَنْ تَعْبُرَ الْمَصَائِبُ. 2أَصْرُخُ إِلَى اللهِ الْعَلِيِّ، إِلَى اللهِ الْمُحَامِي عَنِّي. 3يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ الَّذِي يَتَهَمَّمُنِي. سِلاَهْ. يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ. 4نَفْسِي بَيْنَ الأَشْبَالِ. أَضْطَجِعُ بَيْنَ الْمُتَّقِدِينَ بَنِي آدَمَ. أَسْنَانُهُمْ أَسِنَّةٌ وَسِهَامٌ، وَلِسَانُهُمْ سَيْفٌ مَاضٍ. 5ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ. 6هَيَّأُوا شَبَكَةً لِخَطَوَاتِي. انْحَنَتْ نَفْسِي. حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً. سَقَطُوا فِي وَسَطِهَا. سِلاَهْ.

7ثَابِتٌ قَلْبِي يَا اللهُ، ثَابِتٌ قَلْبِي. أُغَنِّي وَأُرَنِّمُ. 8اسْتَيْقِظْ يَا مَجْدِي. اسْتَيْقِظِي يَا رَبَابُ وَيَا عُودُ. أَنَا أَسْتَيْقِظُ سَحَراً. 9أَحْمَدُكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَا رَبُّ. أُرَنِّمُ لَكَ بَيْنَ الأُمَمِ. 10لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ. 11ارْتَفِعِ اللهُمَّ عَلَى السَّمَاوَاتِ. لِيَرْتَفِعْ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ مَجْدُكَ.

إلى أن تعبر المصائب

هناك سبعة مزامير أطلق عليها القديس أغسطينوس اسم «مزامير الطريد» (هي 7، 34، 52، 54، 56، 57، 142) كتبها داود أثناء هروبه من مطاردات الملك شاول له، متنقِّلاً من بلد إلى بلد، ومن كهف إلى كهف، وحتى إلى بلاد الفلسطينيين. ويقول عنوان هذا المزمور إن داود كتبه «عندما هرب من قدام شاول في المغارة». ولا ندري إن كانت تلك المغارة (الكهف) مغارة عدلام (1صم 22) أو مغارة عين جدي على الشاطئ الغربي للبحر الميت (1صم 24). ويبدأ هذا المزمور كما بدأ سابقه بالقول «ارحمني يا الله». وقد اعتبرت الكنيسة هذا المزمور مناسباً لصباح القيامة، وانتصار المسيح على قُوى الموت والجحيم (1كو 15: 24–28) ، كما تقول الآية الأخيرة منه: «ارتفع اللهمَّ على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك».

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الله هو الحماية في المصائب (آيات 1–6)
ثانياً – تسبيح المنجّي من المصائب (آيات 7–11)

أولاً ـ الله هو الحماية في المصائب
(آيات 1-6)

منذ نصر الله شعبه بيد داود حقد شاول عليه، فصار دائم التنقُّل، حتى قال لشاول: «وراء من أنت مُطارِد؟.. وراء برغوثٍ واحد!» (1صم 24: 14). والبرغوث حشرة صغيرة كثيرة القفز ويصعب إمساكها. وكأن داود يريد أن يقول إنه لا يستحق كل مطاردة شاول، الذي لن يمسك به!

قد لا نمرُّ بنفس ظروف داود، ولكن مَن مِنا لم يطارده الإحساس بالذنب، فيحتاج إلى ملجإ الكفارة الذي يستر خطاياه؟ ومَن لم يجربه إبليس الذي لا يترك أحداً بدون تجربة؟ لله ابنٌ وحيد بلا خطية، لكنه لم يكن بلا تجربة. ومن لم يدخل في صعوبة الاضطهاد، ويقاسي الضيق من العالم الحاضر الشرير؟ قال الرسول بولس: «جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطَهدون» (2تي 3: 12). نحن في ذات السفينة التي ركبها داود، والتي تضربها العواصف! وفي الآيات الست الأولى من مزمورنا نجد خمس حقائق:

1 ـ طلب الحماية: «ارحمني يا الله ارحمني لأنه بك احتمت نفسي، وبظل جناحيك أحتمي إلى أن تعبر المصائب. أصرخ إلى الله العلي، إلى الله المحامي عني» (آيتا 1، 2). يطلب داود الرحمة اعتماداً على رأفة الله وأمانته لوعوده الكريمة. وهو يكرر دعاءه «ارحمني» مرتين، لإحساسه بعدم الاستحقاق. وقد جاء المسيح لا للذين يظنون أنهم أبرار، بل للأشرار الذين يحسّون بذنوبهم ويعترفون بها (مت 9: 13). ويطلب داود الحماية في ظل جناحي الرب إلى أن تعبر المصائب القادمة عليه كموجات متتالية تكاد تغرقه. وهو تعبير يحمل معاني الحب، والسرعة، والرفعة، والراحة، والظل، والأمان، فعندما تحسُّ الأفراخ الصغيرة بالخطر تُهرَع لتحتمي تحت جناحي أمها. «كما يترأف الأبُ على البنين يترأف الرب على خائفيه» (مز 103: 13).

يحمي الرب المؤمن من المصاعب، ومن أشعة الشمس المحرقة. وهذا ما أراد المسيح أن يفعله بأورشليم، فقال: «كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها» (مت 23: 37). وقال بوعز لراعوث: «ليكن أجرُكِ كاملاً من عند الرب إله إسرائيل، الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را 2: 12). وقد طلب داود الحماية من الله العلي ملك العالم، الجالس على

كرسي عال ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل (إش 6: 1). وهو أعلى بكثير من كل أعداء المرنم، وهو المحامي عنه والشفيع الذي يقدر أن يعين المجرَّبين. «فإذْ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات: يسوع ابن الله، فلنتمسَّكْ بالإقرار، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمةً، عوناً في حينه» (عب 4: 14–16). إنه صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، وسيحمي محبّيه كل الأيام إلى انقضاء الدهر (مت 28: 18، 20).

2 - انتظار الحماية: «يرسل من السماء ويخلِّصني. عيَّر الذي يتهممني. يرسل الله رحمته وحقَّه» (آية 3). طرق الرب كثيرة للإنقاذ، وكلها سماوية، عامرة بالحكمة في التوقيت والأداء. يرسل مَن يشاء، متى يشاء، وفي وقته يسرع به. إنه يرسل «رحمته وحقّه» وهما ملاكان حارسان يخدمان الأتقياء الذين يصرخون طالبين النجاة، فيعيِّران العدو الذي يتهمَّم المرنم ويخزيانه ويسلمانه للعار.

3 - خطورة الموقف: «نفسي بين الأشبال. أَضطجع بين المتَّقدين بني آدم. أسنانهم أسنَّةٌ وسهامٌ، ولسانهم سيفٌ ماضٍ» (آية 4). كان الأعداء كالأسود الجائعة المحيطة بداود من كل جانب تريد أن تلتهمه، وكأنه مع دانيال في الجب الخطير (دا 6). ومع ذلك فهو يضطجع وينام رغم نيران الحقد والعداء المتَّقدة في نفوسهم ضده! لقد قال عندما هرب أمام أبشالوم: «بسلامةٍ أضطجع، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينةٍ تسكنني» (مز 4: 8). وقد نام في مغارة عدلام كما نام بطرس نوماً عميقاً في السجن، رغم علمه أن غضب هيرودس يتَّقدُ ضدَّه (أع 12: 6). قد ينام الخائف هروباً من الخطر، لكن المؤمن يضطجع وينام مطمئناً لأنه يثق في كمال محبة الرب له. صحيحٌ أنهم نهشوا نفسه بكلامهم الخشن، الشبيه بالأسنَّة (جمع سِنان، وهو نصل الرمح) أو كالسيوف الحادة، ولكنه يعلم أن نجاته لا بد قادمة، لأن المؤمن يحكم على كل لسان يقوم ضده في القضاء (إش 54: 17).

4 - طلب مجد الله: «ارتفِع اللهمَّ على السماوات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية 5). يطلب المرنم أن يعلن الله مجده «ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم، فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظِّمٍ وعالٍ، وعلى كل مرتفعٍ فيوضَع» (إش 2: 11، 12).

5 - الحصول على الحماية: «هيَّأوا شبكةً لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدّامي حفرةً. سقطوا في وسطها» (آية 6). ما أكثر ما نصَب شاول الشِّباك وحفَر الحُفر ليقتنص داود، الذي انحنت نفسه وانكسرت من شدة المطاردة التي لا تتوقَّف. ولكن الرب أنقذه منها جميعها، وحصد أعداؤه ما زرعوه، فإن «من يحفر هُوَّةً يقع فيها، ومن ينقض جداراً تلدغه حيَّةٌ» (جا 10: 8).

ثانياً ـ تسبيح المنجي من المصائب

(آيات 7-11)

1 ـ روح التسبيح: «ثابتٌ قلبي يا الله، ثابتٌ قلبي. أغني وأرنم» (آية 7). كنا نتوقَّع أنه بسبب كل المخاوف التي وصفها في الآيات السابقة يقول: «خائفٌ قلبي». ولو أنه قالها لكان له كل الحق بحسب المقاييس البشرية. ولكنه ثبَّت قلبه في الله بالرغم من كل المصائب. لقد وعده الله وعوداً صادقة، وتعامل معه معاملات عظيمة. ولا يمكن أن ينسى يوم زيارة صموئيل النبي لبيت أبيه يسّى ليمسح للرب ملكاً. وجاء يسّى بأبنائه الستة، ولكن صموئيل سأل: «هل كملوا الغلمان؟». فأجاب يسى: «بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم». قال: «لا نجلس حتى يأتي إلى ههنا». وانتظر صموئيل حتى جاء داود، فمسحه ملكاً بناءً على تكليف الله، فحلَّ روح الرب على داود (1صم 16: 1-13). وبسبب ثبات داود في الرب لم يتوقَّف عن التسبيح. لم يوقفه إبليس، ولا مطاردة شاول، ولا غدر الفلسطينيين. لقد جعل داود حوائط مغارة عدلام تردِّد صدى ترتيله، وشعاره: «أسبِّح الرب في حياتي، وأرنِّم لإلهي ما دمتُ موجوداً» (مز 146: 2). «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن أرتعب؟» (مز 27: 1). «لا يخشى من خبر سوء. قلبه ثابت متكلاً على الرب» (مز 112: 7). «ثبتُّم على الإيمان، متأسِّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل» (كو 1: 23).

2 ـ حماس التسبيح: «استيقِظْ يا مجدي. استيقظي يا رباب ويا عود. أنا أستيقظُ سحراً» (آية 8). يدعو داود أمجد ما فيه ليسبح الرب، فيدعو عقله الذي يفكر، وقلبه الذي يحب، ولسانه الذي ينطق، وخياله الشعري الذي يكتب المزامير، وقدراته الفنية ليضع اللحن المناسب لتمجيد الرب. ويدعو كل آلاته الموسيقية من رباب وعود لتستيقظ معه في الفجر. جاء في التلمود اليهودي أنه كان من عادة داود أن يعلّق عوداً فوق رأسه. وبعد منتصف الليل كانت ريح الشمال تضرب أوتار العود فتتبعث الأنغام، فينهض على صوتها يقرأ الشريعة إلى أن يحين الفجر. واقتبسوا عن داود قوله: «يوقظ الفجرُ الملوكَ، أما أنا فأوقظ الفجر!».

وما أجمل قول الشاعر:

قُم في الدُّجَى يا أيها المُتعبّدُ حتى متى فوق الأسرّة ترقد؟!

3 ـ مكان التسبيح: «أحمدك بين الشعوب يا رب، أرنِّم لك بين الأمم» (آية 9). سبّح داود الرب بين الشعوب فهذه روح كرازية، تتخطى حواجز الأمم والجنس، ليشهد لإلهه أمام من لا يعرفونه. وتحققت رغبته، فإن العابدين في كل الكنائس ينشدون مزاميره، وكأنه قائد فرق الترنيم فيها كلها!

4 - دوافع التسبيح: «لأن رحمتك قد عظمت إلى السموات، وإلى الغمام حقك» (آية 10). دفعت الرحمة والحق داود للتسبيح. لقد طلب الرحمة من الله في أول المزمور، وفي آخره يؤكد أنها ارتفعت إلى السموات، فوق ظلم شاول وجميع مقاوميه، فإنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمتُه على خائفيه (مز 103: 11). رأى داود الله من داخل المغارة، وعندما خرج منها رأى الغيوم العالية وفيها قوس قزح، علامة عهد الله مع جدِّه الأكبر نوح، فتأكد من أمانة الله. ولما هطل المطر الذي يروي الإنسان والزرع أدرك رحمة الله. صحيحٌ أن الحق يحتجب أحياناً وراء غيوم الباطل، لكن احتجاب أشعة الشمس خلف الغيوم لا يعني عدم وجودها، فهي خلف الغيمة. والله موجود وراء كل تجارب الحياة، ولن يعطّل وصول رحمته إلينا أي شيء.

5 - تواضع صاحب التسبيح: «ارتفِع اللهم على السموات. ليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية 11). يرى داود أن ترنيمه وتمجيده لله ليس كافياً، فيدعو الملائكة، وأرواح الأبرار المُكمَّلين، أن يكملوا ترتيله المحدود بترتيلهم العظيم. ويدعو البشر جميعاً أن يعلّوا اسم الرب في كل الأرض، فتكون مشيئته كما في السماء كذلك على الأرض «وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح» (نح 9: 5).

فليعطنا الرب أن نختبر دوماً مراحمه التي لا تنتهي، ليرتفع على كل الأرض مجده! «وسمعتُ كصوت جمعٍ كثير، وكصوت مياهٍ كثيرة، وكصوت رعودٍ شديدة، قائلة: هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء» (رؤ 19: 6).

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». لِدَاوُدَ. مُذَهَّبَةٌ

1أَحَقّاً بِالْحَقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ، بِالْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟ 2بَلْ بِالْقَلْبِ تَعْمَلُونَ شُرُوراً فِي الأَرْضِ. ظُلْمَ أَيْدِيكُمْ تَزِنُونَ. 3زَاغَ الأَشْرَارُ مِنَ الرَّحِمِ. ضَلُّوا مِنَ الْبَطْنِ مُتَكَلِّمِينَ كَذِباً. 4لَهُمْ حُمَةٌ مِثْلُ حُمَةِ الْحَيَّةِ. مِثْلُ الصِّلِّ الأَصَمِّ يَسُدُّ أُذْنَهُ، 5الَّذِي لاَ يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْحُوَاةِ الرَّاقِينَ رُقَى حَكِيمٍ.

6اَللهُمَّ كَسِّرْ أَسْنَانَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمِ. اهْشِمْ أَضْرَاسَ الأَشْبَالِ يَا رَبُّ. 7لِيَذُوبُوا كَالْمَاءِ، لِيَذْهَبُوا. إِذَا فَوَّقَ سِهَامَهُ فَلْتَنْبُ. 8كَمَا يَذُوبُ الْحَلَزُونُ مَاشِياً، مِثْلَ سِقْطِ الْمَرْأَةِ، لاَ يُعَايِنُوا الشَّمْسَ. 9قَبْلَ أَنْ تَشْعُرَ قُدُورُكُمْ بِالشَّوْكِ نِيئاً أَوْ مَحْرُوقاً، يَجْرُفُهُمْ. 10يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى النَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خَطَوَاتِهِ بِدَمِ الشِّرِّيرِ. 11وَيَقُولُ الإِنْسَانُ: «إِنَّ لِلصِّدِّيقِ ثَمَراً. إِنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ قَاضٍ فِي الأَرْضِ».

يوجد إله قاضٍ في الأرض

يقدِّم لنا داود في هذا المزمور الإنسان الخاطئ في أعماله، وفي مصيره السيئ، ويدعونا للتوبة، مؤكداً أن الله يريد إنقاذنا من مصير الأشرار. ويبدأ بتوبيخ المسؤولين الذين لا يقضون بالعدل، ويقول إنهم أسوأ من المتَّهمين المقدَّمين للمحاكمة أمامهم. ويقول إن الله سيجعل الظالمين عاجزين عن إيقاع الأذى بالأبرياء، وسيبيدهم من الأرض. عند هذا «يقول الإنسان إن للصدِّيق ثمراً. إنه يوجد إلهٌ قاضٍ في الأرض». ولعل هذا المزمور كُتب وقت ثورة أبشالوم الفاشلة على والده داود (2صم 15).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – مظاهر شر الشرير (آيات 1–5)

ثانياً – نتائج شر الشرير (آيات 6–9)

ثالثاً – درسان من دمار الشرير (آيتا 10، 11)

أولاً ـ مظاهر شر الشرير

(آيات 1-5)

1 - يسكت عن الحق: «أحقاً بالحق الأخرس تتكلمون؟ بالمستقيمات تقضون يا بني آدم؟» (آية 1) يوبِّخ داود الحكام الأشرار الذين يسكتون عن الحق ويخرسون عن إعلانه، ولا يحكمون بالعدل والصواب الذي كان يجب أن يعلنوه، ويسألهم في استفهام استنكاري: «بالمستقيمات تقضون يا بني آدم؟» والتعبير «بني آدم» يُطلَق على الإنسان لضعفه وقابليته للموت. وبهذا يذكّرهم داود أنهم لن يستمروا في مناصبهم إلى الأبد، فلماذا يسكتون عن الحق، مع أنه «من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فذلك خطية له» (يع 4: 17)؟

2 - يُدبّر الظلم: «بل بالقلب تعملون شروراً في الأرض. ظلم أيديكم تَزِنون» (آية 2). لقد عزموا بكل قلوبهم أن يخطئوا، لأن طبيعتهم فاسدة، فبدل أن يزِنوا الأمور بدقَّة ليحكموا بالعدل، يزنون الأمور بميزان الظلم. والميزان يمثِّل العدالة، فكان يجب أن يكونوا عادلين، لكنهم عوضاً عن ذلك ملأوا كفة الميزان ظلماً، ورجّحوا كفَّة الظلم على الناس. تظاهروا بالعدل ومارسوا الظلم، وأبدلوا البر بالشر، فإذا الظلم في مكان العدل، والشر في مكان البر!

3 - طبيعة فاسدة: «زاغ الأشرار من الرَّحم، ضلّوا من البطن، متكلمين كذباً» (آية 3). منذ بداية الخليقة وشر الإنسان كثير «لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته» (تك 8: 21). «يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر، ومتجنِّبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم، بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحِسّ، أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع» (أف 4: 17–19). أما الذين تابوا وفتحوا قلوبهم لنعمة الله فيقول لهم: «وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا» (أف 4: 20) لأنهم قاموا مع المسيح إلى حياة جديدة.

4 - يرفضون التوبة: «لهم حُمة مثل حُمة الحية، مثل الصلّ (نوع خبيث من الحيات) الأصمّ يسدّ أذنه، الذي لا يستمع إلى صوت الحُواة الرَّاقين رُقَى حكيم» (آيتا 4، 5). الأشرار أعداءٌ للناس، وكالحيَّة يسمِّمون حياة البشر. يرفضون كلام الله ولا يتوبون. ويشبِّههم المرنم بالصلّ الأصمّ الذي يسدّ أذنه فلا يسمع صوت الحُواة الحكماء الذين يزمّرون للحية الخبيثة فتنتشي وتستسلم لهم ليخلعوا أسنانها السامة، فيبقى السمُّ فيهم.

وهناك خطاة لا يرفضون عمل الله فقط، بل يقاومون روحه القدوس. لهؤلاء قال الشهيد المسيحي الأول استفانوس: «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس. كما كان آباؤكم كذلك أنتم! أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه؟» (أع 7: 51–53). فكم من مرة يدعونا الله للتوبة عن طريق آية من الكتاب المقدس، أو بمعاملاته اليومية معنا إذ يلمس حياتنا بلمسة حب أو بتأديب محبة، أو من خلال

صديق يحدثنا عن التغيير الذي جرى في حياته. بهذه الطرق وغيرها يقدم لنا الله دعوة مفتوحة للتوبة ويقول: «إن سمع أحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه» (رؤ 3: 20) لأُشبع قلبه بمغفرة خطاياه، وبمنحه نعمة التبنّي التي تضمن له حياته الأبدية.

ثانياً ـ نتائج شر الشرير

(آيات 6-9)

لما كانوا خطاة يرفضون التوبة، يعلن داود أن الله سيكسر قوتهم الشريرة.

1 ـ قوتهم تتحطم: «اللهمَّ كسّر أسنانهم في أفواههم. اهشِم أضراس الأشبال يا رب» (آية 6). لا بد أن الله سيحطم القوة التي تريد افتراس الصدِّيق. وكم من مرة هشَّم فيها الله أسنان الشرير فقاده للتوبة، لأنه كشف له عجزه وألجأه إلى هجر ظلمه وطاعة ربِّه.

2 ـ عملهم سيفشل: «ليذوبوا كالماء. ليذهبوا. إذا فوَّق سهامه فلْتَنْبُ» (آية 7). فإن كانوا جامدين كالثلج سيذوبون وتبتلعهم الأرض. ربما ظنوا أن قوتهم باقية صلبة، ولكن لا بد أن تبتلعهم الأرض ويختفوا، فتخيب سهامهم ولا تصيب الهدف الذي هو قلب الصدِّيق. إنهم يريدون أن يحطموا المؤمن، ويقضوا عليه، ولكن الله سيقف إلى جواره ليضمن سلامته، ويخيِّب مهاجمات الأشرار، ويُنهي من لأرض ذكرهم.

3 ـ نهايتهم الدمار الكامل: (آيتا 8، 9).

في هاتين الآيتين ثلاث صور عن نهاية الأشرار:

(أ) «كما يذوب الحلزون ماشياً» (آية 8أ): والحلزون حيوان رخو يعيش في صَدَفة. ما أكثر الأصداف التي نجدها على الشاطئ ولا شيء في داخلها، لأن الحلزون الذي كان فيها ترك الصدفة ولم يعد له وجود.

(ب) «مثل سِقْط المرأة لا يعاينوا الشمس» (آية 8ب): يطلب للشرير أن يولد قبل الأوان ناقصاً، فيموت ولا يرى الشمس، فتستريح الأرض من شرِّه.

(ج) «قبل أن تشعر قدوركم بالشوك نيئاً أو محروقاً يجرفهم» (آية 9): يطلب من الله أن يسرع بإهلاك الأشرار، قبل أن تصل الحرارة إلى قدر الطعام، وقبل أن ينضج اللحم، وقبل أن يظهر إن كان شوك الوقود أخضر أو يابساً، فيتم فيهم القول: «قد رأيتُ الشرير عاتياً، وارفاً مثل شجرة شارقة

ناضرة. عَبَر فإذا هو ليس بموجود، والتمستُه فلم يوجد» (مز 37: 35، 36). «يـا هـؤلاء جمـيعكم، القادحين ناراً، المتنطِّقين بشرارٍ، بنور ناركم، وبالشرار الذي أوقدتموه.. في الوجع تضـطجعون» (إش 50: 11). والمعنى من هذا أنه من قبل أن يتذوَّق القضاة الظالمون ثمار ظلمهم يحل بهم غضـب الله كطوفان يجرفهم «ولكن بني بليَّعال جميعهم (بليعال اسم عبري معناه شرير، يلقِّبون به من لا يخاف الله) كشوكٍ مطروح.. فيحترقون بالنار في مكانهم» (2صم 23: 6، 7).

ثالثاً ـ درسان من دمار الشرير

(آيتا 10، 11)

1 ـ فرح البار المضطهَد بالعدالة: « يفرح الصدِّيق إذا رأى النقمة. يغسل خطواته بدم الشرير» (آيـة 10). بقدر ما يتأسف البار على هلاك الشرير بقدر ما يفرح أن الله أجرى عدالته الإلهية، وأنه هو نجا من شرِّ الشرير. يقف المؤمن أمام هلاك الشرير موقف الحائر: هل يفرح أم هل يحزن؟ إنه يمشي في أرض المعركة التي انتهت ويتأمل آثارها، فيرى الشرير ساقطاً ومجد الرب عاليـاً، فيقـول: «يعظـم انتصارُنا بالذي أحبنا» (رو 8: 37). وسيجيء اليوم الذي يُعلَن فيه انتصار المسيح، والغالبون يملكون معه. «بعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمعٍ كثيرٍ في السماء قائلاً: هللويا! الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا، لأن أحكامه حقٌّ وعادلةٌ» (رؤ 19: 1، 2).

2 ـ انتصار العدالة الإلهية: «ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض» (آيـة 11). عندما تأخذ العدالة الإلهية مجراها نرى ثمار الحياة التقية، فإن ما يزرعه الإنسان إيـاه يحصـد أيضاً (غل 6: 7). ولو أن ملاحظة معاناة الصديق ونجاح الشرير قد تجعلنا نظن أن الله لم يعُد يهـتم بالبشر. والحقيقة أنه إله محب وقاضٍ عادل في كل الأرض. لن تكون الغلبة للشرير ولا لجنـوده، لأن المؤمنين سيغلبون العدو بدم الحمل، وبكلمة شهادتهم (رؤ 12: 7-17).

يقدم هذا المزمور دعوةً للنفس البعيدة عن الله لتتوب قبل أن تتهشَّم وتـتحطم وتتـدمَّر. «اليـوم إن سمعتُم صوته فلا تقسّوا قلوبكم» (عب 3: 7، 8). فصوت الله يجيء إلينا يدعونا للتوبة، كما أن مزمار الراقي يدعو الحية السامة لينزع أنيابها. فلنسمع الصوت ونتجاوب معه، ولنرجع إلى الله بكـل قلوبنـا ونقبل دعوته المقدسة، فيكون لنا النصيب الصالح الذي لن يُنزع منا (لو 10: 42).

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالْخَمْسُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى «لاَ تُهْلِكْ». مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لَمَّا أَرْسَلَ شَاوُلُ وَرَاقَبُوا الْبَيْتَ لِيَقْتُلُوهُ.

1أَنْقِذْنِي مِنْ أَعْدَائِي يَا إِلَهِي. مِنْ مُقَاوِمِيَّ احْمِنِي. 2نَجِّنِي مِنْ فَاعِلِي الإِثْمِ، وَمِنْ رِجَالِ الدِّمَاءِ خَلِّصْنِي، 3لأَنَّهُمْ يَكْمُنُونَ لِنَفْسِي. الأَقْوِيَاءُ يَجْتَمِعُونَ عَلَيَّ، لاَ لإِثْمِي وَلاَ لِخَطِيَّتِي يَا رَبُّ. 4بِلاَ إِثْمٍ مِنِّي يَجْرُونَ وَيُعِدُّونَ أَنْفُسَهُمُ. اسْتَيْقِظْ إِلَى لِقَائِي وَانْظُرْ. 5وَأَنْتَ يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ انْتَبِهْ لِتُطَالِبَ كُلَّ الأُمَمِ. كُلَّ غَادِرٍ أَثِيمٍ لاَ تَرْحَمْ. سِلاَهْ. 6يَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ. 7هُوَذَا يُبِقُّونَ بِأَفْوَاهِهِمْ. سُيُوفٌ فِي شِفَاهِهِمْ. لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: «مَنْ سَامِعٌ؟» 8أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَتَضْحَكُ بِهِمْ. تَسْتَهْزِئُ بِجَمِيعِ الأُمَمِ. 9مِنْ قُوَّتِهِ إِلَيْكَ أَلْتَجِئُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي.

10إِلَهِي رَحْمَتُهُ تَتَقَدَّمُنِي. اللهُ يُرِينِي بِأَعْدَائِي. 11لاَ تَقْتُلْهُمْ لِئَلاَّ يَنْسَى شَعْبِي. تَيِّهْهُمْ بِقُوَّتِكَ، وَأَهْبِطْهُمْ يَا رَبُّ تُرْسَنَا. 12خَطِيَّةُ أَفْوَاهِهِمْ هِيَ كَلاَمُ شِفَاهِهِمْ. وَلْيُؤْخَذُوا بِكِبْرِيَائِهِمْ وَمِنَ اللَّعْنَةِ وَمِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يُحَدِّثُونَ بِهِ. 13أَفْنِ بِحَنَقٍ، أَفْنِ، وَلاَ يَكُونُوا، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مُتَسَلِّطٌ فِي يَعْقُوبَ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. سِلاَهْ. 14وَيَعُودُونَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. يَهِرُّونَ مِثْلَ الْكَلْبِ، وَيَدُورُونَ فِي الْمَدِينَةِ. 15هُمْ يَتِيهُونَ لِلأَكْلِ، إِنْ لَمْ يَشْبَعُوا وَيَبِيتُوا.

16أَمَّا أَنَا فَأُغَنِّي بِقُوَّتِكَ، وَأُرَنِّمُ بِالْغَدَاةِ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي وَمَنَاصاً فِي يَوْمِ ضِيقِي. 17يَا قُوَّتِي، لَكَ أُرَنِّمُ، لأَنَّ اللهَ مَلْجَإِي إِلَهُ رَحْمَتِي.

يجتمعون عليَّ، لا لإثمي!

كتب داود هذا المزمور بعد أن أرسل الملك شاول رجاله ليقبضوا عليه في بيته، عند زوجته ميكال ابنة الملك (1صم 19). لقد توقَّع التشجيع من والد زوجته، لا القتل. وتوقَّع الإكرام من ملكه، لا المطاردة. وكثيراً ما يكون أعداء الإنسان أهل بيته (مت 10: 36). ولكن سيظل الآب السماوي أميناً دائماً، وإلى الأبد، صادقاً في وعوده، يفتح بابه للمتضايقين ولا يغلقه في وجوههم أبداً. فعندما تهتزُّ ثقتنا في القريبين منا يبقى هو ملجأنا الأمين. وكلما زادت عداوة البشر لنا دفعتنا دفعاً للاحتماء بالعناية الإلهية.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المطارَد يطلب الحماية (آيات 1–9)

ثانياً – المطارَد يطالب بالجزاء (آيات 10–17)

أولاً ـ المطارَد يطلب الحماية

(آيات 1-9)

1 - يطلب الحماية من مقاوميه: «أنقِذني من أعدائي يا إلهي. من مقاوميَّ احمِني. نجِّني من فاعلي الإثم، ومن رجال الدماء خلِّصني» (آيتا 1، 2). ما أكثر ما عانى داود من أعدائه المقاوِمين، فاعلي الإثم، المتعطشين للدماء والقتل. وما أكثر ما حماه الله منهم في حصنه وتحت ظل جناحيه، فهو الحصن والقلعة.

2 - يطلب الحماية من رجال الدسائس: «لأنهم يكمنون لنفسي. الأقوياء يجتمعون عليَّ، لا لإثمي ولا لخطيتي يا رب. بلا إثمٍ مني يَجْرون ويُعِدّون أنفسهم. استيقِظ إلى لقائي وانظر» (آيتا 3، 4). مع أن داود لم يرتكب شراً في حق أعدائه، إلا أنهم اجتمعوا حوله مسرعين، وقد أعدّوا له الشر، وحفروا له الحُفر ونصبوا له الشِّباك. ولذلك ظنَّ أن الرب نائم، فطلب منه أن يستيقظ ليلاقيه بجيش قوي يحميه.

3 - يطلب الحماية ممَّن يعاودون الهجوم: «وأنت يا رب إله الجنود، إله إسرائيل، انتبِه لتطالب كل الأمم. كل غادرٍ أثيم لا ترحم. يعودون عند المساء يهرّون (ينبحون بصوت منخفض) مثل الكلب، ويدورون في المدينة. هوذا يُبقّون بأفواههم (يتكلمون كلاماً بلا معنى). سيوفٌ في شفاههم، لأنهم يقولون: من سامع؟» (آيات 5–7). يلجأ المرنم إلى «إله الجنود» الذي يستخدم جنوده من الملائكة والأفلاك والطبيعة والبشر ليدافعوا عنه. ويلجأ إلى «إله إسرائيل» الذي لا ينعس ولا ينام، ولا يرضى بالظلم، ويطالبه بالانتباه إليه لينقذه من أعدائه الذين يصفهم بأنهم من «الأمم». إنهم مولودون من نسل إبراهيم، ولكن تفكيرهم وأعمالهم مثل تفكير «الأمم» وأعمالهم. إنهم يعيشون في جاهلية، غادرون لا يستحقون رحمة الله، غارقون في الشر، يشبِّههم بكلاب ضالة متوحشة تنام نهاراً في الشمس في كسل، وتتجمَّع ليلاً تجول في الشوارع تفتش على طعامها، وبسبب جوعها تنبح بأصوات منخفضة لا تكاد تُسمع. ويقول إنهم «يبقّون» كلاماً فارغاً سخيفاً بلا معنى، و«فم الجهّال يُنبِع حماقة.. فم الأشرار يُنبِع شروراً» (أم 15: 2، 28). يؤذون داود بكلامهم ويحسبون أن الله لا يسمع ولا يهتم، ولن يساعد داود

بشيء. «يقولون: الرب لا يبصر، وإله يعقوب لا يلاحظ. افهموا أيها البُلداء في الشعب.. الغارس الأذن ألا يسمع؟ الصانع العين ألا يبصر؟» (مز 94: 7-9).

4 – يطلب الحماية ممّن نهايتهم الخزي: «أما أنت يا رب فتضحك بهم. تستهزئ بجميع الأمم. من قوَّته (قوة العدو) إليك ألتجئ، لأن الله ملجإي» (آيتا 8، 9). العدو أقوى من داود، فيلجأ إلى ملجـــإه الـــذي اختبره عشرات المرات. حقاً «تفكَّر الشعوب في الباطل.. الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم.. طوبى لجميع المتَّكلين عليه» (مز 2: 1، 4، 12).

ثانياً ـ المطارَد يطالب بالجزاء

(آيات 10-17)

1 - يطلب أن يرى جزاءهم: «إلهي رحمته تتقدَّمني. الله يُريني بأعدائي» (آيـــة 10). يعلـــن داود أن رحمة الله ستتقدَّمه لتدافع عنه وتهيّئ طريق نجاته، فيرى عقاب أعدائه. يتلفَّت وراءه فـــلا يـــراهم لأن الرب أفناهم. فالرحمة التي تتقدَّمه تعاقب من يتعقَّبونه.

2 - يطلب أن يدفعوا أجرة خطيتهم: (آيات 11-15).

(أ) بأن يتيهوا: «لا تقتلهم لئلا ينسى شعبي. تَيِّهْهُم بقوتك وأَهبِطهم، يا رب ترسنا» (آية 11). لا يطلب قتل أعدائه فوراً، بل أن يتيههم الله ويهبطهم حتى يرى الشعب إنقاذ الرب لعبده، وسوء مصـــير عدوه، فيذكرون عظمة الإنقاذ الإلهي. ما أكثر المعجزات التي لا يذكرها الناس لأنها حدثت في الخفاء! لذلك يطلب داود معجزة واضحة لا تُنسى. فبوجود شاول ومطارداته المتلاحقة يظهر للناس مدى عناية الله بداود، ومدى تيهان أعدائه. إنهم يتوهون كقايين، الذي قال الله له: «متى عملْـــتَ الأرض لا تعـــود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض» (تك 4: 12) وكتيهان بني إسرائيل الذين قيـــل عـــنهم: «فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة، حتى فني كل الجيل الذى فعل الشر في عيني الرب» (عد 32: 13). ويطلب داود أن يضرب الرب أعداءه ضربات شديدة وأن يُهْـــبطهم، لأن «الرب ترسنا» فيظهرون بلا قوة ولا سلطان، ويتَّضح أن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما (جا 5: 8).

ولا شك أن روح الإنجيل تختلف عن روح التوراة بالنسبة للأعداء، فالإنجيـــل يطالـــب بـــالغفران للمسيئين إلينا (مت 5: 38-42)، أما التوراة فتعلِّم أن العين بالعين والسن بالسن (لا 24:20). ويطالب داود بتطبيق الشريعة التي يعرفها في وقته.

(ب) بأن يفنوا: «خطية أفواههم هي كلام شفاههم. وليُؤخَذوا بكبريائهم ومن اللعنة ومن الكذب الذي يحدِّثون به. أَفْنِ بحنَقٍ أَفْنِ ولا يكونوا، وليعلموا أن الله متسلِّطٌ في يعقوب إلى أقاصي الأرض» (آيتا 12، 13). بعد أن يطلب البؤس والعذاب الطويل في التيهان والضربات الشديدة، يطالب بفناء مؤامراتهم ودمارها، وعقابهم على «خطية أفواههم» وهجومهم الكلامي عليه، وكذبهم وكبريائهم، ويكرر طلب فنائهم: «أَفْنِ.. أَفن» فينتهي سلطانهم وجبروتهم. «أما الغادرون فيُؤخَذون بفسادهم» (أم 11: 6). قد يستخفُّ البعض بخطايا الكلام، لكن الله لا بد سيدين المتكلم بالشر «من فمك أدينك أيها العبد الشرير» (لو 19: 22).

(ج) بأن يفشلوا: «ويعودون عند المساء يهرّون مثل الكلب ويدورون في المدينة. هم يتيهون للأكل. إن لم يشبعوا ويبيتوا» (آيتا 14، 15). يستريح أعداء داود طيلة اليوم، كالكلاب الوحشية، وعند المساء ينبحون نباحهم الخافت ويدورون في المدينة يطلبون نفس داود ليفترسوه (راجِع آية 6). إنهم متعطشون لسفك الدماء، ولكنهم لن يحققوا هدفهم بقتل داود، فعندما يطلع الفجر يكون داود لا يزال آمناً، وهم لا يزالون يطلبون دمه، فيبيتون منتظرين مساء اليوم التالي ليعاودوا محاولاتهم الفاشلة في قتله!

3 - يقدم الشكر لله منقذه: «أما أنا فأغني بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك، لأنك كنتَ ملجأً لي ومناصاً في يوم ضيقي. يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجإي، إله رحمتي» (آيتا 16، 17). يختتم داود مزموره بالحديث عن مصير التقي الذي يثق في خلاص الله. إنه يسبِّح الرب ويحمده لأنه وهبه النجاة وقدَّم له الحماية. كان يتحصَّن في الكهوف التي صنعها الله. وكم من حصون طبيعية نعرفها فنلجأ إليها. ولكن كم من حصون فوق طبيعية لا نحلم بها ولا تدركها عقولنا يحمينا الله فيها! «والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع» (أف 3: 20، 21). إنه الملجأ والمناص (المفرُّ والخلاص) الذي نهرب إليه وقت محنتنا. فنهتف: «يا قوتي لك أرنم، لأن الله ملجإي، إله رحمتي» (آية 17).

اَلْمَزْمُورُ السِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى السَّوْسَنِّ. شَهَادَةٌ مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ لِلتَّعْلِيمِ. عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ أَرَامَ النَّهْرَيْنِ وَأَرَامَ صُوبَةَ فَرَجَعَ يُوآبُ وَضَرَبَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي الْمِلْحِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً.

1يَا اللهُ، رَفَضْتَنَا. اقْتَحَمْتَنَا. سَخِطْتَ. أَرْجِعْنَا. 2زَلْزَلْتَ الأَرْضَ. فَصَمْتَهَا. اجْبُرْ كَسْرَهَا لأَنَّهَا مُتَزَعْزِعَةٌ. 3أَرَيْتَ شَعْبَكَ عُسْراً. سَقَيْتَنَا خَمْرَ التَّرَنُّحِ. 4أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ رَايَةً تُرْفَعُ لأَجْلِ الْحَقِّ. سِلاَهْ. 5لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَاسْتَجِبْ لِي.

6اَللهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقُدْسِهِ. أَبْتَهِجُ. أَقْسِمُ شَكِيمَ وَأَقِيسُ وَادِيَ سُكُّوتَ. 7لِي جِلْعَادُ وَلِي مَنَسَّى، وَأَفْرَايِمُ خُوذَةُ رَأْسِي. يَهُوذَا صَوْلَجَانِي. 8مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ اهْتِفِي عَلَيَّ.

9مَنْ يَقُودُنِي إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ؟ مَنْ يَهْدِينِي إِلَى أَدُومَ؟ 10أَلَيْسَ أَنْتَ يَا اللهُ الَّذِي رَفَضْتَنَا وَلاَ تَخْرُجُ يَا اللهُ مَعَ جُيُوشِنَا؟ 11أَعْطِنَا عَوْناً فِي الضِّيقِ، فَبَاطِلٌ هُوَ خَلاَصُ الإِنْسَانِ. 12بِاللهِ نَصْنَعُ بَأْساً، وَهُوَ يَدُوسُ أَعْدَاءَنَا.

راية تُرفع لأجل الحق

يمجِّد هذا المزمور الرب بسبب الانتصار الذي منحه لشعبه بعد هزيمة أليمة. وهذا اختبار كل المؤمنين، فإبليس وجنوده من الشياطين والبشر لا يكفّون عن مهاجمة المؤمنين، وهم دائمو الشكوى على أولاد الله. فإبليس يشكو الله لنا قائلاً إنه لم يعُد يحبنا، ويشكونا لأنفسنا قائلاً إننا غير نافعين روحياً، ليفشِّلنا، فنفقد الثقة في أنفسنا ونتقاعس عن طاعة الرب. ولكن في الرب لنا نصرة على إبليس وجنوده، فنغلب التجربة والمرض والضيق. ولا شك أن في حياتنا الإيمانية انتصارات وهزائم، والهزائم لا يجب أن تفشِّلنا، كما أن الانتصارات لا يجب أن تجعلنا نتكبَّر ونتعالى، بل إن الانتصار السابق يُلهم ويشجِّع دائماً للحصول على انتصارات قادمة. وعلينا أن نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، وأن نقاوم حتى الدم مجاهدين ضد الخطية (عب 12: 1، 4).

هذا المزمور شهادة للأجيال القادمة، تعلن أن النصر النهائي هو للرب ولكل من هم له. أما مناسبة كتابته فنجدها في 2صم 8 لما حارب داود أرام النهرين وأرام صوبة في الشمال، فهاجمه الأدوميون من الجنوب، فرجع من الشمال إلى الجنوب وحارب وانتصر، وهو نصرٌ تكرَّر على الأدوميين بعد ذلك (2مل 14: 7).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – حيرة المرنم (آيات 1–3)

ثانياً – انتظار المرنم (آيتا 4، 5)

ثالثاً – مواعيد الله للمرنم (آيات 6–8)

رابعاً – أمل المرنم (آيات 9–12)

أولاً ـ حيرة المرنم

(آيات 1-3)

تحيَّر داود من أن العدو غزا بلده من الجنوب بينما هو يحارب في الشمال، فلم تكن لديه القوة على الحرب في جبهتين. وأحسَّ أن الله رفضه وسمح لأعدائه أن يهاجموه بسبب سخطه عليه، فتزلزلت الأرض من تحته، وانفصمت (تصدَّعت) فلم يعُد قادراً على الوقوف عليها ولا على قدميه، ورأى عُسراً وشدائد، وشرب خمر الترنُّح، وصار كالسُّكارى، عاجزاً عن إدراك حجم الكارثة، ومحل سخرية الناظرين، ولا يدري كيف يدافع عن نفسه.

ولكن المرنم الحائر أدرك سبب ما حاق به، وأدرك علاجه، فقال: «أرجِعنا» لأن البُعد عن الله هو سبب الهزيمة، وإعادة العلاقة مع الله هو علاجها. وقال: «اجبُر كسرها» فإن الذي زلزل الأرض فكسّرها هو وحده القادر أن يجبرها. وهذه ثقة عظيمة في الله المنقذ من الحيرة.. قد يتوقَّف بعضنا عند الحيرة ولا يصلّون، فيظلمون أنفسهم، مع أنه لا شفاء للحائر إلا بالصلاة!

ثانياً ـ انتظار المرنم

(آيتا 4، 5)

يقول المرنم إن الله أعطى خائفيه رايةً تُرفع لأجل الحق. والراية هي محبة الله لهم «علَمُه فوقي محبة» (نش 2: 4) فلا بد أن ينتصروا، لأن محبة الله لا تنقص ولا تتغيَّر، وهي تنجي أحباءه إذ تخلِّصهم يمينه. كما أن الرب نفسه هو راية شعبه، لأن لقبه: «يهوه نِسّي» (اسم المذبح الذي بناه موسى تذكاراً لانتصاره على العمالقة، خر 17: 15).

وقد أدخل الله شعبه في عهد معه، وينتظر شعبُه منه أن يحقِّق هذا العهد، فالعهد حق. والحرب ضد عدو الرب هي من أجل الحق وبأسلحة الحق. ولما كان داود حبيب الرب (معنى اسم داود «محبوب» وهو الوحيد الذي حمل هذا الاسم في الكتاب المقدس) فلا بد أن ينجو براية الرب، حتى لو هاجمه الوثنيون، فإن «حبيب الرب يسكن لديه آمناً» (تث 33: 12)، يقول الرب له: «محبةً أبديةً أحببتُك، من

أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة» (إر 31: 3).. ومن رحمة الله أن الضيق ينقي المؤمن ويتوِّبه، وفي الضيق ينال بركات «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده» (رو 8: 28). وهو قادر بنعمة الله أن يحتمل الضيق حسب الوعد: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (2كو 12: 9).

ثالثاً ـ مواعيد الله للمرنم

(آيات 6-8)

1 ـ مواعيد بقسمة الأرض: «الله قد تكلم بقُدسه» (آية 6) ووعد إبراهيم ونسله بالأرض (تك 15: 18–21)، وأخرج شعبه من أرض العبودية، وعبَّرهم البحر الأحمر، وأعطاهم الأرض، فاستسلمت لهم تحصينات العدو. سقط شرق الأردن: سكوت وجلعاد (عجلون) ومنسى، كما سقط غرب الأردن: شكيم (نابلس) وأفرايم ويهوذا، ثم قسم يشوع الأرض للشعب (يش 18: 10).

وانتصارات شعب الله في الماضي تعطي المؤمنين في كل عصر شجاعةً وثقة وايماناً. فلن ننسى إعطاء المنَّ يومياً للشعب في صحراء سيناء مدة أربعين سنة (خر 16: 4–11)، ولا الغربان وهي تطعم إيليا (1مل 17: 2–7)، ولا الأرملة ودهنة الزيت التي ملأت الأوعية (2مل 4: 1–7)، ولا فتح أبواب السجن وخروج بطرس حُراً (أع 12). فالرب دائماً يُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة (قض 14: 14)، ويعطي من أصعب الظروف أكبر البركات، ويجعل أقسى الأيام اختبارات عظيمة للمحبة الإلهية. ففي الظروف القاسية يكتشف المؤمن ضعفه، كما يكتشف نعمة الروح القدس التي تقوّيه. حتى الخطية التي يسقط فيها تعلِّمه أن الرب غفور، يعطي التائب فرصة ثانية.

2 ـ مواعيد برفعة الشعب: «لي جلعاد ولي منسّى، وأفرايم خوذة رأسي، يهوذا صولجاني» (آية 7). يعلن الله أن له «جلعاد ومنسى» وهي أرض باشان، شرق نهر الأردن، والتي أُعطيت لنصف سبط منسى.. وأن له أفرايم المحارب، أقوى الأسباط بعد سبط يهوذا، ويشبِّهه بالخوذة التي تحمي رأس المحارب، والذي باركه موسى بقوله: «قَرْناه قرنا رِئم (غزال أبيض)، بهما ينطح الشعوب معاً إلى أقاصي الأرض» (تث 33: 17). ولله سبط يهوذا الذي يشبِّهه بالصولجان، فمنه الملك داود، وعنه تنبّأ يعقوب: «لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا.. وله يكون خضوع شعوب» (تك 49: 10). وفوق الكل جاء منه المسيح «الأسد الذي (الخارج) من سبط يهوذا» (رؤ 5: 5).

3 ـ مواعيد بسقوط العدو: (آية 8). يسقط أعداؤه الثلاثة:

(أ) **موآب:** «موآب مرحضتي» (آية 8أ). المرحضة هي الوعاء الذي يوضع فيه ماء الاغتسال، أي أن المرنم يغسل رجليه بعد تعب السفر على موآب، ويستعبده، قال إشعياء: «سمعنا بكبرياء موآب المتكبِّرة جداً، عظمتِها وكبريائها وصَلَفِها، بُطل افتخارها.. يُهان مجد موآب» (إش 16: 6، 14).

(ب) **أدوم**: «على أدوم أطرح نَعْلي» (آية 8ب). أي أن أدوم يصير عبداً للمرنم، يخلع نعله من رِجْلَيه ليغسلهما. أو أنه يقصد أنه سيمتلك أرضه. وكانت العادة أن الذي يشتري بيتاً أو أرضاً يخلع نعله ويضعه على البيت أو الأرض، بمعنى أنه امتلكه وصار له.

(ج) **فلسطين**: «يا فلسطين اهتفي عليَّ» (آية 8ج). بمعنى أن فلسطين تهتف له هتاف الانتصار، لأنها استسلمت له. «إذا أرضت الرب طرق إنسان، جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم 16: 7). ولا يسالمونه فقط بل يخدمونه أيضاً!

وللمؤمن ثلاثة أعداء: الجسد، والعالم، وإبليس. فأجسادنا تشدُّنا إلى الخطأ. والعالم يغوينا بشهوته التي تستمر. وإبليس يزيِّن لنا الخطية. ولكن الذي أعطى داود انتصاراً في الماضي هو الذي ينصرنا على أعدائنا الثلاثة، فلنطلب من الله ثقةً وقوة وانتصاراً. ولنلبس سلاح الله الكامل لنقدر أن نثبت ضد مكايد إبليس (أف 6: 10-13).

رابعاً ـ أمل المرنم

(آيات 9-12)

1 ـ سيقوده الله إلى سالع (البتراء): «مَن يقودني إلى المدينة المحصَّنة؟ من يهديني إلى أدوم؟ أليس أنت يا الله الذي رفضتنا ولا تخرج يا الله مع جيوشنا؟» (آيتا 9، 10). المدينة المحصَّنة هي عاصمة أدوم، المعروفة الآن في الأردن باسم البتراء، وهي مدينة حصينة جداً وعالية، مبنيَّة على صخور، لا يمكن أن يهزمها أحد. والمرنم يثق أن الله هو الذي سيهديه إلى أدوم وينصره، بالرغم من أنه رفضه ولم يعُد يخرج مع جيشه. وبالمعنى الروحي نستطيع نحن أن نحصل من الله على الامتيازات التي وعدنا بها، فيغفر خطايانا، ويمنحنا سلام القلب وقداسة الحياة، وأخيراً يُدخلنا إلى مجده الأبدي، فنقول بلغة داود: مَن يقودنا يا رب إلى كل هذه البركات؟ أليس أنت يا الله؟ وبالرغم من أنك تركتنا لأننا أفلتنا يدنا من يدك، لكنك تعود تمسك بنا وتقودنا من جديد. «هوذا يقتلني. لا أنتظر شيئاً، فقط أُزكّي طريقي قدامه» (أي 13: 15).

2 ـ بالرب الخلاص: «أعطِنا عوناً في الضيق، فباطلٌ هو خلاص الإنسان. بالله نصنع ببأس، وهو يدوس أعداءنا» (آيتا 11، 12). تعلّم داود درساً من الهزيمة. كان قد اتكل على نفسه وعلى حلفائه، لكنه تعلَّم أن خلاص الإنسان باطل، وأن الله وحده هو العون في الضيق. وفي هذه الآية درسٌ لرابح النفوس، هو أنه بيسوع وحده نصل إلى قلب الخاطئ، المتحصِّن ضد معرفة الله، والذي يقاوم الاستسلام لمحبة الله.

بدأ داود مزموره حائراً، ولكنه أنهاه بطلاً منتصراً. بدأه يشتكي متزعزعاً ساقطاً، ولكنه أنهاه وقد صنع الله به ببأس. ولا زالت هذه القوة العظيمة من حق كل مؤمن ليصنع ببأس، وينتصر على كل من يدوس عليه، سواء داسته الخطية، أو المواقف الصعبة، أو الأعداء، أو التجربة. فلنتعلم كيف نقرع باب الرب في ثقةٍ ومحبة وطاعة، فينفتح لنا باب الانتصار العظيم. ويعظُم انتصارُنا بالذي أحبَّنا، ولا يفصلنا

عن محبة المسيح شيء، فنكون دائماً في صُحبة الغالب، الذي أبطل الموت وأنار لنا الحيـــاة والخلـــود بواسطة الإنجيل (رو 8: 37، 39 و2تي 1: 10).